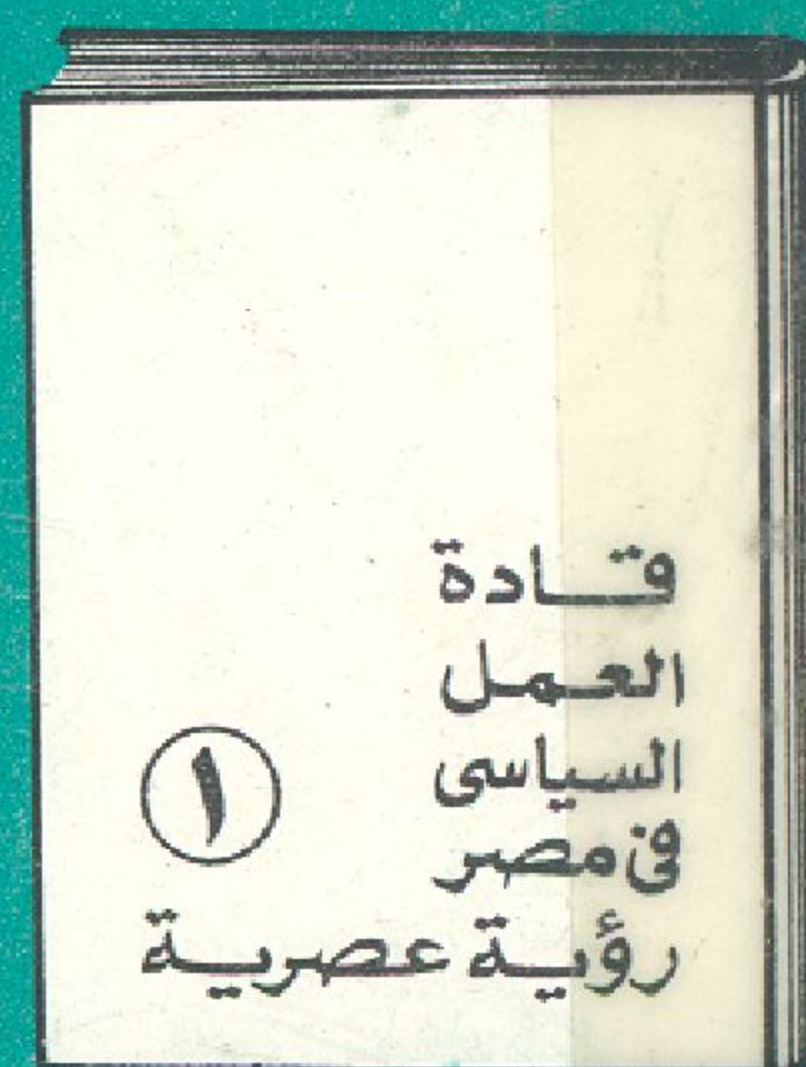
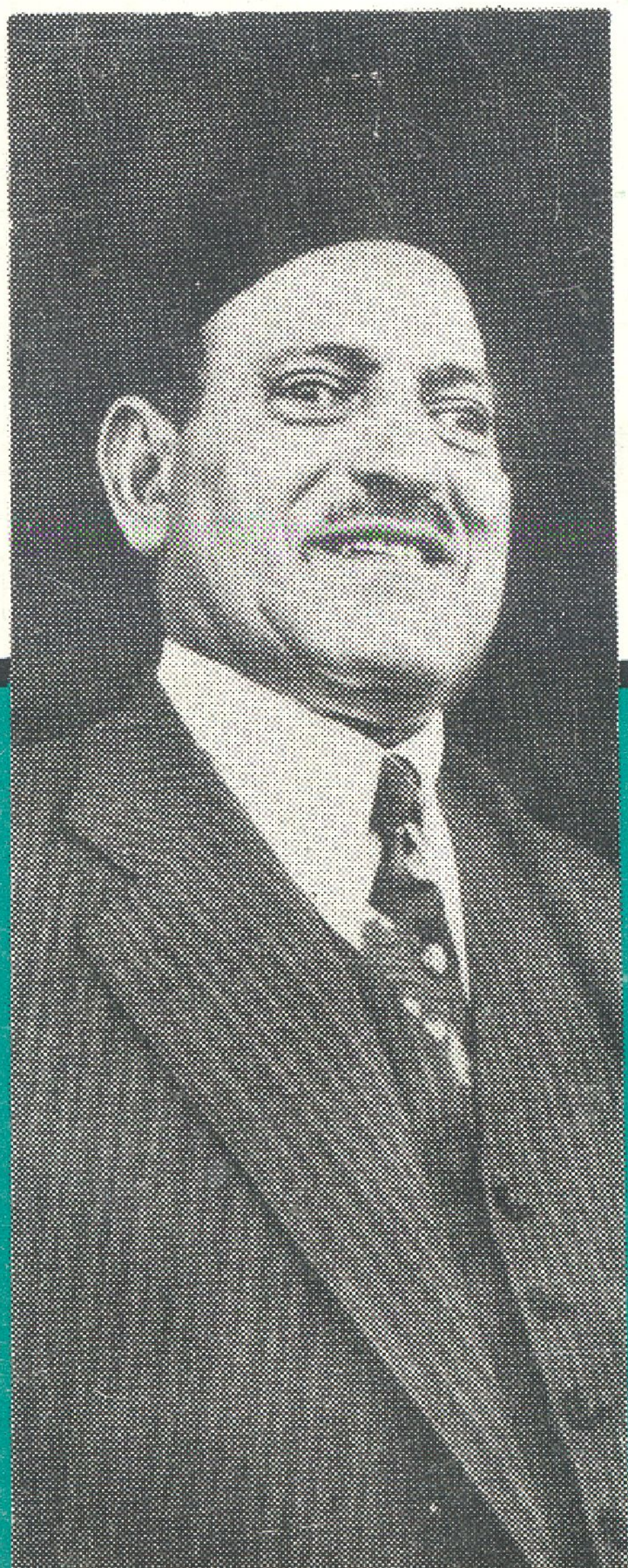


الدكتور
رفعت السعيد

مصطفى النحاس

السياسي
والزعيم
والمتناضل



اهداءات ٢٠٠٣

أ.د/ رفعت السعيد

يس مجلس إدارة جريدة الأهالي-القاهرة

الدكتور رفعت السعيد

مصطفى النحاس

السياسي والزعيم والمناضل

حقوق النشر والاقتباس والترجمة
إلى لغات أجنبية محفوظة للنشر:
دار القضاء - بيروت

الاهـداء

الى طارق البشرى

وصلاح عيسى

فخر مؤرخى جيلنا

((المؤلف))

كلمة للمؤلف

كيف؟

لست وفديا ، ولم أكن . .

بل لعلى — وفى غمار الخضم المتلاطم للعمل
السياسى — قد اخذت كثيرا مع حزب الوفد
وسياساته ، وان كنت قد اتفقت معه أيضا ومع
سياساته فى كثير من الأحيان .

ولعللى فى كثير من تقييماتى الحالية لمواقف هذا الحزب
كنت — فى نظر البعض — قاسيا بعض القسوة ، أو
بالدقة محاولا أن أقيس مواقفه بمقياس طبقى صارم
لا بد له وان يترك بصمات انتقادية على كل خطوة
وكل موقف .

كيف اذن تجاسرت على خوض ميدان السكتابة عن
مصطفى النحاس ؟

لعل هذا السؤال قد حيرنى ، أكثر مما سيحير
القارئ . .

هل لأننى كنت — وباستمرار — اعتقد بتمايز مصطفى
النحاس عن الحزب وعن مجمل قيادته ، ومجمل
سياساته ، وان النحاس كان فى واقع الأمر زعيما
لمصر أكثر مما كان رئيسا لحزب ؟

.. ربما .

أم ان السبب شخصى بحت ، يعود الى تأثرى بأبى
وهو وفدى صميم ، يعتبر أن محبة «مصطفى النحاس»
والإيمان به واحدا من الطقوس الأبدية للحياة ، يتنفسه
ويعيشه ويقتاته ، ويصل بالمحبة تجاهه الى حدودها

القصوى التى تشارف مرحلة « الوجد » عند
المتصوفة .. ؟

.. ربما .

أم اننى لم ازل اذكر « حكايات » أمى عن أبيها . ذلك
الرجل الذى ضحى بحياته فى سهولة وبساطة حماسة
للنحاس من مؤامرة اغتيال دبرها له الطاغية اسماعيل
صدقى فى عام ١٩٣٠ ؟

ولكم ظلت أسرته تعانى من قسوة الحياة ، لكنها
ظلت — أيضا — تمزج مأساتها بمحبة فائقة للزعيم
الوطنى الذى مات عائلها ليمنحه الحياة ، ولكم تصبح
ذكرى « البطل الشهيد » غالية ، ولكم تصبح تضحيته
عالية القيمة كلما كان « الزعيم » الذى افتداه قمة
لا تبارى من قمم الوطنية .

.. ربما ، أيضا .

المهم ، وبرغم اننى لم اكن وفديا فلقد ظلت أنظر
الى النحاس نظرة يمتزج فيها الاعجاب بالرهبة ..

وأنا لم أر جدى لأمى . قرأت فقط — وفى خشوع —
اسمه على نصب تذكارى اقيم لفترة من الوقت فى
حديقة فى قلب بلدتنا ، ثم ما لبث أن ازاله الخصوم
السياسيون للنحاس . كل معلوماتى عنه « خيالات »
مستمدة من « حكايات » . لكننى ومنذ طفولتى تخيلتسه
عملاقا ضخما يمد يدا هائلة ، تحمى — وعلى الدوام —

حياة « الزعيم البطل » ، وهكذا تتميز صورة « النحاس »
في خاطري وفي وجداني بوضعية خاصة تهاما .



وتخطو بنا الأيام للامام . وتصبح دراسة التاريخ
جزءا من الزاد اليومي للحياة . وتتلور حقائق تاريخ
مصر الحديث لتصنع من « مصطفى النحاس » زعيما
عملاقا ذا مكانة خاصة في قلب هذا الوطن .

وهكذا تترسخ المحبة الشخصية بالمعرفة التاريخية .
وكان طبيعيا — بعد ذلك كله — ان اتجه نحو دراسة
تاريخه وسيرته .

ومصطفى النحاس شخصية متميزة وآسرة . ما ان
تحاول البحث في جوانبها المختلفة حتى تستشعر الألفة
والمودة ، وتشعر وكأن رباطا من الصداقة الحميمة
يجذبك بحنان دافق نحو ذلك الرجل البسيط الشجاع .
نحو « الزعيم » الذي استطاع ان يجمع من محبة شعب
بلاده أكثر من أى زعيم آخر .

وهكذا ، فانك لا تملك الا ان تواصل البحث
والدراسة ، مبهورا بهذا العبق — التاريخى الزاخر
مستشعرا الفخر ليس فقط لأن مصر أنجبت مثل هذا
الرجل ، وانما أيضا — لمجرد — انك قد أصبحت تعرفه
أكثر وأكثر . .



ولكم يشعر الانسان بالأسى وهو يحس كم تحمل
النحاس من مأساة سنواته الأخيرة . .

كيف جرؤت مصر — أو بعضا من أبنائها — ان
يبالغوا في قسوتهم على الزعيم المحبوب لشعبهم في
سنوات حياته الأخيرة .

هل هو قدر مثل هذا النوع من الزعماء أن يتقبلوا
من أوطانهم أو من مواطنيهم القسوة والنكران ؟

مثله — أيضا — احمد عرابى الذى قضى السنوات
الأخيرة من حياته فيما هو أشد وأقسى من النفى والسجن
ومثله — كذلك — محمد فريد .

فهل هو تقليد مصرى ؟

وهكذا تضيف دراستى لأحداث هذه السنوات — فى
علاقاتها بالنحاس — ظللا من الحزن المأساوى على
صورة « الزعيم » وتزداد رهبتى تجاهه .

عملاقا عاش هذا الرجل على رأس نضال شعبه .

وعملاقا احتمل مأساة السنوات الأخيرة .

وعملاقا مات . .

وتصبح الكتابة أكثر صعوبة ، وتغلبنى الرهبة كلما
حاولت الاقتراب . ومع ذلك أمضى كثيرا من الوقت
فى الاستمتاع بالتقرب من الرجل والتعرف عليه .

* * *

وطوال سنوات عديدة ظل التذكر للماضى سسمة
العصر ..

كل ما فات كان خطأ محضاً ، وكأن البعض قد تصور
بذلك أنه يستطيع أن يكسب الحاضر صفة الصواب
المطلق ..

وانهال بعض كتاب التاريخ ، ليغرقوا الأذهان بكتابات
هى فى الواقع تزيف لتاريخ مصر ، أو هى بالدقة تشويه
لوجه النضال المصرى ..

واختلطت الرؤى ، أو هى خلطت عن عمد وسبق
اصرار ، وتاهت المعالم ، وأصبح الماضى كله — عند
البعض — كتلة صماء سوداء ، تنهال عليها اللعنات .
الوطنى مع الخائن ، والمناضل مع العميل كلهم ادينوا
— ودفعة واحدة — كمسؤولين عن فساد الماضى وزيفه .

ونسى الناس فى خضم الحاضر المليء بالحركة ،
وفى غمار الخلط المتعمد ، نسوا نضال شعبهم طوال
ثلاثين عاماً أو تزيد فى وجه الطغيان والاحتلال
والاستبداد .

وكان مصطفى النحاس واحداً من هؤلاء الذين تعمد
الخلط المقصود أن يخفى — صورتهم الحقيقية —
وحتى مجرد اسمهم — عن أعين الجيل الجديد .

ومن هنا ، فان الكاتب لا بد له وأن يشعر لدى أية
محاولة لتسطير أفكاره أنه ليس مطلوباً منه أن ينصف

النحاس وحده ، وإنما كل تاريخ فترة العقود الثلاث
العشرينات والثلاثينات والأربعينات .

وهكذا تزداد الصعوبات وتتشابك لتؤجل الكتابة .

* * *

.. حتى كانت الذكرى العاشرة لوفاته .

ومع تجدد عبقها يثور الكثير من الشجن ، وتتجدد
الرغبة في الحديث عن الزعيم ولو حديثا مختصرا ، ولو
مجرد تذكير لشعب مصر بذلك الرجل الذى اتخذوه
يوما أحب الزعماء الى قلوبهم .

ولم تزل الرهبة من مكانة الزعيم ، والخوف من
أن تكون الكلمات أقل من أن تفيه حقه ، والحذر من أن
يكون القدر المتاح من المعلومات غير كاف لاعطاء صورة
صادقة عنه ، ولم يزل ذلك كله يشل ارادتي عن خوض
هذه التجربة .

حتى كانت محاولة أحد تجار صحافة الاثارة ، واحد
ممن لا أجد الحاجة الى وصفهم فلعلهم بأفعالهم وكتاباتهم
قد وضعوا أنفسهم — وباختيارهم — فى الموضع الذى
يستحقونه .

إذا بأحد هؤلاء يثور على المختلفين بذكرى النحاس
— على ضئالة الاحتفال — ويشير زوبعة مفتعلة متسائلا :
الم يقبل النحاس يد الملك ؟

والغريب في الأمر . ان بعض الوفديين قد أستدرج الى المصيدة . وبدأ يتحدث عن النحاس من الزاوية التي أرادها أعداؤه ، راضيا ان يوضع « الزعيم » وتاريخه ونضاله في قفص اتهام نسجه أناس عاشوا حياتهم ، وصعدوا ، أو بالدقة هبطوا من أجل تقبيل حذاء كل حاكم وكل طاغية .

الغريب في الأمر ان تجار صحافة الاثارة لم يعدوا من يدخل معهم في جدل ، ويقارعهم الحجة ، ويحاول الاجابة بالنفى على سؤال غير لائق .

ولست اريد ان أستدرج الى قفص الفوغائية الذي ينسجه تجار صحافة الاثارة ، فعلم التاريخ يأبى ان يرصد حادثة عارضة — حتى ولو كانت صادقة — لتقييم تراث متكامل ، وتاريخ لنحاس يكفيه ويزيد — وبدون أية حجج أو براهين — أن يسمو به فوق هذه الصفائر .



وهكذا حسمت امرى ، واستجمعت أطراف شجاعتي وقررت ان اكتب ، مدركا منذ البداية اننى لا احاول تسطير سيرة مصطفى النحاس ، فهذا جهد أتركه لمن هم أقدر منى على ذلك . . انما هي مجرد محاولة لاثارة الانتباه ، وحث على دراسة سيرة النحاس ، وتعريف الجيل الحاضر به . .



لكننا — ولكي ننصف الرجل — يتعين علينا أن نضعه
أولا في إطار عصره وحزبه . . في مصر التي عاشها هو ،
وليس تلك التي نعيشها نحن الآن . مصر الاحتلال
والسراى واحزاب الأقلية . مصر الاقطاع والرأسمالية
والاستبعاد . . وأن نضعه أيضا في إطار حزبه ، ذلك
الوعاء العملاق الفضفاض (الوفد المصرى) والذي
اتسم بقيادة تسودها غالبية من كبار الملاك الزراعيين ،
وقاعدة تموج فيها الملايين من فلاحى مصر وكادحيها ،
وبين ضغوط متفاوتة من القمة الشديدة الثراء ، والقاعدة
الكادحة غير المنظمة كان يتحتم على « الزعيم » أن
يمارس عملية قيادة صعبة وشاقة . .

وبدون أن نضع « السياسى » في الإطار الموضوعى
الذى عاش فيه فأننا نظلمه ونظلم الحقيقة ذاتها .

د . رفعت السعيد

القاهرة : أغسطس (آب) ١٩٧٥

الفصل الأول

مصر

في عام ١٩٣٥ كان يرأس مجلس وزراء مصر رجل يدعى توفيق نسيم باشا ، وقد حاول دافيد كيلي مستشار دار المندوب السامي البريطاني ورجل مخابراتها العتيد أن يصف هذا الرجل فقال : « كان توفيق نسيم يعد نفسه بصراحة وبلا حاجة الى موارد صنيعتنا ، وكان يعترف بهذا فخورا ، وفي قرارة نفسه كان توفيق نسيم يأسى دائما لأننا قد تخلينا عن الكثير من نفوذنا (١) .

ولم يكن توفيق نسيم سوى نموذج فجع لهؤلاء الساسة من قادة حكومات الأقليات التي حكمت مصر غالبية الفترة الممتدة من اعلان دستور ١٩٢٣ وحتى ثورة يوليو .

وثمة أسماء كثيرة مرادفة لاسم توفيق نسيم ، حكمت مصر تحت راية الاحتلال والسراى وبرغم الإرادة الشعبية الواضحة التي أكدت في كل انتخابات حرة ، أو شبه حرة ، أن حزب الوفد هو صاحب الأغلبية البرلمانية بغير منازع .

لكن مثل هؤلاء الساسة كانوا مهددين دوما بالعزلة عن جماهير شعبهم ، وبالتحول الى مجرد صنائع في يد الاحتلال والسراى . .

ولهذا فقد تواجد داخل القصر الملكى محور جديد على ماهر — الشيخ 'لراغى — كامل البندارى . وقد

(١) محمد عوده — سبعة باشوات وصور أخرى — الكتاب الذهبى — ص ١١٧ .

راهن هذا المحور على محاولة خلق منابر جديدة يمكنها اجتذاب بعض جماهير الوفد .

وهكذا انغمست السراى فى تشجيع التيار الدينى المتمثل فى الاخوان المسلمين فى محاولة لاضفاء نوع من الشرعية الدينية على « الملك الصالح » . وظلت جموع الاخوان المسلمين — ولفترة طويلة من الوقت — سندا اساسيا للسراى فى حربها ضد تمرد النحاس واصراره على الحد من نفوذ القصر وتقليم اظافر الملك .

كذلك انغمست السراى فى تشجيع التيارات الشبابية (مصر الفتاة) ترويجا لفكرة أن السياسيين القدامى عاجزون عن تفهم آماني الأمة وتحقيقها وان الشبـاب بزعامـة « الملك الشاب » هم اقـدر على تحقيق هذه الـاماني . .

وهكذا شهدت مصر الثلاثينات — ولأول مرة فى تاريخها الحديث — دعاوى دينية وسياسية متطرفة .

فكان الشيخ المراغى يؤكد أن « الأمة الاسلامية هى محتوى سياسى كما أنها محتوى دينى » ويرفض « أية محاولة لفصل سلطة الدين عن سلطة ولى الامر » (١) — مستخدما ذلك كله فى خدمة الملك .

وكان حسن البنا يؤكد أنه يريد الحكم ويريد حكومة

G. E. VONGRUNEBRUM. Modern Islam — The (١)
Search for Cultural Identity — Unitage books —
New York, pp. 65.

اسلامية . ذلك أن « الاسلام عبادة وقيادة ، ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، وصلاة وجهاد ، وطاعة وحكم ، ومصحف وسيف ، لا ينفك واحد من هذين عن الآخر » (١) .

بل انه يلقي خطابا بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس جماعة الاخوان المسلمين يقول فيه: « وفي الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الاخوان المسلمين ، ثلاثمائة كتيبة قد جهزت نفسها روحيا بالايمان ، وفكريا بالعلم والثقافة ، وجسميا بالتدريب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني أن أخوض بكم لجج البحار وأقتحم عنان السماء ، وأغزو بكم كل عنيد جبار ، فاني فاعل ان شاء الله » (٢) .

أما « مصر الفتاة » فبعد أن ترددت برهة أمام التعصب الاسلامي ، فانها سرعان ما اتجهت نحو التيار الفاشستي والحقيقة أن أحمد حسين لم يحاول أن يخفى نفسه ، فهو يعلن صراحة « ان الفكرة التي أوحى الى موسوليني بالقميص الأسود في ايطاليا والتي أوحى الى هتلر أن يبتكر القميص البنى في المانيا هي التي أوحى اليها أن نفعل مثلما فعلوا » (٣) .

-
- (١) حسن البنا — مذكرات الدعوة والداعية . دار الكتاب العربي (القاهرة) — ص ١٥١ .
(٢) د. اسحق موسى الحسيني — الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحديثة ص ٢٨ .
(٣) حمد حسين — ايماني . الطبعة الاولى — مطبعة الرغائب (١٩٣٦) — ص ٧٤ .

وأحمد حسين يرفض الدستور وفكرة الأغلبية البرلمانية ، بل النظام البرلماني ككل . ويصف سنوات الحياة البرلمانية في مصر بأنها « عشر سنوات ضاقت وتأخرت بها الأمة عشرين عاما الى الوراء . وانها ضاقت في القيسل والقسال ، بين خطب ومناقشات ومفاوضات وبين خلافات حزبية ونيران مستعرة وبرلمانات تشاد وبرلمانات تهدم » (١) .

ويؤكد أحمد حسين انه « يكره النظام البرلماني الذي يقوم على تعطيل الأعمال و تعويق الانتاج ، والذي يحول البلاد الى مسرح من مسارح الخطابة والتمثيل » . ويقول بلا حياء : « ونحن نريد في نهاية الأمر نظاما لا تكون فيه الكلمة للجهال وهم في كل مكان الأكثرية » (٢) .

ويقوم أحمد حسين برحلة الى ايطاليا والمانيا ليعود فيؤكد : « اننا سوف نثبت جدارتنا بالسير ببلادنا في الطريق الذي سلكه من قبل هتلر وموسوليني » (٣) .

ثم لا يلبث أحمد حسين محتما بنفوذ السراي ان يدعو صراحة الى انقلاب فاشي شامل : « يا من بايعتموني ، لا بد من انقلاب ، لا بد من قوة ، ولا قوة بغير تضحية . اذا أردنا اصلاح هذه العجلة القديمة، عبثا نحاول ترميمها ، او نغير بعض أجزائها . لا بد من

(١) الصرخة — ١٩٣٣/١٠/٧ .

(٢) مصر الفتاة — ١٩٣٨/٨/١ .

(٣) مصر الفتاة — ١٩٣٨/٧/٤ .

تخطيطها تخطيطا واعادة بنائها . وذلك هو الانقلاب الذى تحتاجه البلاد . . كل شىء يحتاج الى انقلاب . . لابد من انقلاب يكتسح هذه الحشرات التى يسمونها وفدا أو نحاسا أو مكرما أو برلمانا « (١) .

وهكذا كان النحاس يواجه تأمرا حقيقيا وخطيرا .

القصر ضده وزعماء الأقلية جاهزين دوما للحكم رغم ارادة الشعب ، والتيارات الدينية والفاشستية احتمت بالقصر لتحشد تنظيمات عسكرية شبه فاشستية تحاول أن ترهب بها جماهير الوفد ، وأن تفرض ارادتها على الشارع المصرى الذى لم يعرف سوى سيطرة واحدة هى سيطرة حزب الوفد .

وتمتد أعماق المؤامرة عندما ينضم أقطاب احزاب الأقلية ليساندوا الدعاوى الفاشية . « فالأحرار الدستوريون » لا يجدون مهربا من سيطرة الأغلبية البرلمانية الساحقة للوفد سوى التمسح هم أيضا بالدعاوى الفاشية فتكتب جريدتهم : « وقد لا نخطئ اذا قلنا أن فكرة البرلمانية والفاشستية تجد كل منهما فى مصر أنصارا اذا عرضنا للبحث ، ولعلنا لا نخطئ اذا قلنا أن الروح الفاشستية تلقى تأييدا أشد حرارة من الروح البرلمانية (٢) .

(١) تقرير اتهام النيابة العمومية فى قضية الجناية رقم ٨٧٦

السيدة زينب — لعام ١٩٣٩ .

(٢) السياسة — ١٩٣٦/٨/٣١ .

ويمتد التحالف ليصل الى المكمن الفعلى للخطر . . الى دول المحور ، وتتجمع العديد من الحقائق عن علاقات مريية ومؤكدة بين كل من القصر والاخوان المسلمين ومصر الفتاة وبين دول المحور .

ولقد قاوم النحاس ذلك الحلف الفاشستى ما وسعته المقاومة . حاول أن يردعه بسطوة القانون . وأصدر ، وهو رئيس للوزراء ، قرارا بالحد من تنقلات زعماء مصر الفتاة ، فأوعزت السراى لأحد أتباعها من النواب بأن يوجه استجوابا عن أسباب ذلك ، ويرد النحاس ، بنفسه ، معلنا أمام البرلمان أنه قد « ثبت لوزارة الداخلية أن جمعية مصر الفتاة تعمل لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة البلاد » (١) .

وتلمح صحف الوفد صراحة الى أن الدولة 'المقصودة' هي ايطاليا ، وقالت ان ايطاليا أنفقت فى مصر خلال عام ١٩٣٥ مبلغ عشرين ألف جنيه على الدعاية وحدها وأنها ضاعفت هذا المبلغ فى عام ١٩٣٦ (٢) .

لكن النحاس لا يكتفى بالهجوم على صسفار الثعابين بل انه يوجه ضرباته الى رأس الأفعى . فتكتب جريدة « المصرى » مقهمة السراى صراحة بمساندة الفاشية « . . فالديكاتورية اذا كانت شرا فى صورتها التسعمية

(١) مجلس النواب — الهيئة النيابية السادسة — مجموعة مضابط دور الانعتاد العادى الاول — المجلد الاول للعام ١٩٣٦ . — مضبطة جلسة ١٩٣٦/٧/٢٢ — ص ٩٧ .
(٢) آخر ساعة — ١٩٣٦/٧/١٩ .

كما هي في ايطاليا والمسانيا فان شرها ليجاوز الحدود والقيود اذا تولاها رجال السراى ، وقد صدق زعيم الأمة حيث قال : ليس أسوأ من حكم رجال السراى فى أى بلد من البلاد « (١) .

هكذا كانت المعارك عنيفة والأعداء كثيرين متشابكين خيط واحد يجمعهم : العدااء للشعب والعداء لحكم الأغلبية .

ومن هنا ، كانت معركة النحاس من أجل الدستور معركة ضارية وحاسمة . وكان يعتبر أن النضال من أجل الدستور هو بالنسبة للوفد مسألة حياة أو موت . فالوفد لا يملك رصيذا من رضاء السراى أو رضاء الاحتلال . ومن ثم فان سبيله الوحيد للحكم هو الانتخابات البرلمانية وأعمال الدستور .

لكن تحالف « القصر — أحزاب الأقلية — التيارات المتعصبة والشبه فاشستية » لم يكن سوى طرفا واحدا من أطراف الصراع ، فهناك الطرف الأخطر وهو الاحتلال البريطانى .

ولقد كان الانجليز يكرهون الوفد ، ويكرهون النحاس أكثر من كراهيتهم لأى وفدى آخر ، ولطالما استخدموا السراى وأحزاب الأقليات لضرب الوفد وابعاده عن الحكم .

(١) المصرى — ١٩٣٨/٧/٣١ .

ولقد كان النحاس يكره الانجليز ، ولطالما قاومهم
وحرص شعب بلاده على مقاومتهم .

لكن قيام القصر والجماعات الموالية له (مصر الفتاة
والاخوان المسلمين) باقامة علاقات مباشرة مع المحور ،
وضع الأمور كلها في منعطف جديد ، وخلق أشكالا جديدة
من التهديدات والتحالفات .

من هنا ، يمكننا أن نفهم معاهدة ١٩٣٦ ، وان نفهم
لجوء النحاس الى تكوين فرق القمصان الزرق كقوة
ضاربة للوفد قادرة على كبت القوة الضاربة شبه
المسكرية للقمصان الأخضر (مصر الفتاة) وكتائب الجواله
(الاخوان المسلمين) .

ومن هنا أيضا يمكننا أن نفهم أحداث ٤ فبراير (شباط)
١٩٤٢ .

وعلى أية حال فان كل ما سبق لم يكن محاولة لايجاد
مبررات لأعمال قام بها النحاس واختلف حولها التفسير
والتأويل ، لكنه كان — وفقط — مجرد محاولة لايضاح
طبيعة المسرح الذي قسدر للنحاس أن يؤدي دوره
السياسي فوق خبثيته .

وكل ذلك في ظل أزمة اقتصادية خانقة كانت تخنق
النظام المالي والاقتصادي الزراعي والصناعي معا ،
وتخيم على مصر بجو كئيب من الكساد والتدهور
والبطالة .

ولسنا نريد أن ندخل في تفاصيل الأوضاع الاقتصادية المتدهورة لكننا سنكتفى بمجرد نموذج يكفى بذاته لاعطاء صورة صادقة عن مدى عمق وجدية الأزمة الاقتصادية.

فقد تدهورت أحوال المنتجين الزراعيين والملاك العقاريين بحيث قدر البعض أن غالبية الأملاك العقارية مستغرقة بالديون . وقدر اجمالي الديون بعشرة ملايين جنيه ، لكن جريدة « المقطم » سارعت بالرد عليه معلنة أن الديون العقارية لا تقل عن عشرين مليوناً من الجنيهات (١) .

وإذا شئنا تحديدا رقميا أكثر دلالة فإن الإحصائية التالية توضح قيمة الأراضى والمنازل التى نزع ملكيتها بسبب الديون .

(١) قلبنى فهمى باشا - آراء وذكريات فى السياسة والاقتصاد والاجتماع - مطبعة المجلة الجديدة - ١٩٢٧ ص ١٠ .

(بالجنيحات المصرية) (١)

١٩٣٩ عام	١٩٣٨ عام	١٩٣٧ عام	
٦٤١٤٨٤ ر	٦٨٩٣١٣ ر	١٨١٥٢ ر	بطلب أفراد
٦٨٦٥٦٥ ر	٤٧٨٥٢٦ ر	٧٩٢٥٣٥ ر	بطلب بنوك
١٨٢٠٧ ر	٣٧٠.١ ر	١٢٤٣٤ ر	بطلب الحكومة
١٣٤٦٢٥٦ ر	١٥٤٠ ر	١٩٥٧٧٨٨ ر	الجمهور

(١) محمد علي علوية باشا — مبادئ في السياسة المصرية — مطبعة دار الكتب — ص ٥١ .

واذا كان هذا هو حال المالكين فلاشك أن المعدمين من أبناء شعب مصر ، وهم الغالبية الساحقة ، قد لاقوا الكثير من الارهاق والعنت .

وكانت الأسعار ترتفع بصورة مضطردة كما يتضح من الجدول التالى :

الأرقام القياسية للأسعار (١) .

السنة	الرقم القياسى
١٩٣٩	١٠٠
١٩٤٠	١٢٤
١٩٤١	١٥٥
١٩٤٢	٢٠٠
١٩٤٣	٢٥٣
١٩٤٤	٢٩٩
١٩٤٥	٣١٧

(١) فوزى جرجس — دراسات فى تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى — مطبعة الدار المصرية (١٩٥٨) ص ١٨٠ .

وكان « الزعيم » حتى وهو في كرسى الحكم يجد نفسه — في كثير من الأحيان — عاجزا تماما عن التخفيف من آلام شعبه . .

فالاقطاعية المصرية كانت من ضيق الأفق بحيث رفضت أى شكل من أشكال الإصلاحية ، واعتبرتها « بلشفية » سفرة ولطالما تعرض النحاس للاتهام — حتى من بعض أفراد حزبه — بالبلشفية .

والقصر والاحتلال يقاومان أيضا أية خطى إصلاحية . وبرغم ذلك كله فقد نجح النحاس أن يميز فترات حكمه القصيرة بإصلاحات هامة ظلت وستظل علامات هامة في مجرى التطور المصرى العام .

وكنموذج للموجات « الإصلاحية » التى سجلتها الوزارات التى رأسها مصطفى النحاس نقدم هنا بعض منجزات وزارته التى شكلها عام ١٩٤٢ والتى استطاعت برغم الخطر الخارجى المحقق ، والأزمة الاقتصادية الطاحنة ، والتفسيخ الشديد الذى عانى منه حزب الوفد أن تسجل نجاحات بارزة في هذا الصدد .

* قانون استعمال اللغة العربية في مكاتبات الشركات ومحرراتها وسجلاتها .

* مجانية التعليم الابتدائى .

* قانون عقد العمل الفردى .

* قانون التأمين الإجبارى ضد إصابات العمل .

* قانون تكوين نقابات العمال .

* تخفيف ضريبة الأراضى الزراعية على صغار المزارعين و إعفاء من لا تتجاوز الضريبة المربوطة على أرضه خمسون قرشا من الضريبة .

* اقامة مشروع المجموعات الصحية .

* انشاء ديوان المحاسبة وجعله هيئة مستقلة تماما عن السلطة التنفيذية محاطة بسياس من الضمانات .

* قانون استقلال القضاء الذى كفل للقضاة مبدأ عدم العزل .

وهكذا ، وبرغم الصعوبات والضعفوط يمكن القول بأن فترات حكم النحاس كانت فترات انفسراج نسبى تحققت فيها لمصر ولشعبها غالبية ما نالته من مكاسب واصلاحات .

لكننا يتعين علينا — ولكى لا نقتل من حجم هذه الاصلاحات — ان نعيد تذكر أسطر هذا الفصل ، حتى نستطيع أن نتخيل حقيقة المعركة التى كان النحاس يخوضها من أجل أن يجابه أعداءه ، ويرأو غهم ، ثم يمرر كل هذه الاصلاحات برغم أنفهم .

الفصل الثاني

الوفد

لم يكن الوفد حزبا بالمعنى المفهوم . كان تجمعا شعبيا هائلا معاديا للاستعمار والسراى ، وكانت الجماهير الغفيرة التى التفت حوله تؤمن به باعتباره السبيل المتاح لمناهضة أعداء الوطن وتحقيق أمانى الأمة .

ولم يكن للوفد برنامج سياسى أو اجتماعى بالمعنى المفهوم . وحتى ان وجد فقد كان مجرد استكمال للشكل ، فلا القاعدة تمسكت به ولا القيادة سعت لتحقيقه ، ويمكن القول بأن أهداف وبرامج ومنهج حزب الوفد الحقيقية لم تكن أكثر من عدد من المواقف العملية تجاه الاحتلال والسراى وأحزاب الأقلية . وقد تراكمت هذه المواقف العملية لتصبح تراثا نضاليا تميز به الحزب عن غيره من أحزاب الأقلية التى كانت ، لفرط ضعفها وعزلتها عن الجماهير ، لا تجد من سبيل لوصولها الى الحكم سوى الخضوع للاحتلال ولشيئته الأمر الذى كان يؤدى بها الى المزيد من الانعزال والضعف ، مما أدى — وبالضرورة — الى تزايد جماهيرية الوفد ونفوذه .

ولم يكن الوفد حزبا منظما بالمعنى المألوف للكلمة .

كان تجمعا هائلا ، بغير حصر لعضويته ، ولا بطاقات عضوية ، ولا حتى شروط للعضوية ، وكانت مقاعدته المنظمة هى لجان الوفد بالأقاليم والمدن . وهى لجان يجرى اختيارها من قبل قياداتها الأعلى . وهى ، أيضا ، لجان ادارية محدودة العدد ، محدودة الكفاءة لا يمكن لها ان تعبر — ولو بأدنى صورة — عن حقيقة النفوذ الجماهيرى الشامخ للحزب .

ولقد يقول البعض أن افتقاد التنظيم كان نقطة ضعف في الوفد ، بينما يرى البعض الآخر أن هذا « الافتقاد » كان ميزة وطابعا للوفد بمعنى أنه قد جعل منه وعاء لكل الشعب أو لغالبية العظمى ، وأن « الوفديين » كانوا بغير حصر ولم يكن من الممكن وضع « قوالب » تنظيمية أو فكرية تشملهم جميعا .

وسواء كان افتقاد التنظيم ميزة أم عيبا ، فإن مايعنينا هنا هو أن « الزعيم » لم يكن ليستطيع إذا ما اختلف مع القيادة — وسوف نرى نوعية تشكيلها — أن يناور كثيرا باسم « القاعدة » : فهي تكوين « هلامي » غير قابل للتعداد ولا للاستفتاء أو التصويت .

ومن ثم لم يكن أمام الزعيم سوى أن يعتمد على نفسه في مجابهة اختلافاته مع قيادة الحزب وعلى تيار الرأي العام غير المنظم ، وعلى تراث الحزب وهي جميعا مسائل نسبية تتفاوت امكانيات تأثيرها باختلاف الظروف والأوضاع .

وإذا كانت قاعدة حزب الوفد هلامية التكوين ، فإن القيادة قد تميزت بقبضة متزايدة الأحكام لكبار الملاك الزراعيين الذين استفادوا من عدم تنظيم القاعدة ، ومن عدم وضع قواعد منضبطة لاختيار القيادة ، ومن عدم وجود موثيق فسكرية مكتوبة واجبة الإلزام للحزب ، فتربعوا على عرش القيادة جيلا بعد جيل .

والحقيقة ، أن نفوذ كبار الملاك كان طاغيا ، ومنذ البداية ، فاذا ما راجعنا تكوين « الوفد المصري » ، في

أعقاب الثورة ، لوجدنا أن الغالبية الساحقة هي من
الاسماء المعروفة بانتهاها لأسر اقطاعية .

ولقد عانى « سعد زغلول » كثيرا من هذا التكوين
القطاعي للقيادة . ولنأخذ نموذجا واحدا من هذه
المعاناة :

بينما كان « الوفد المصرى » يفاوض الانجليز فى لندن
فى يوليو (تموز) ١٩٢٠ ، أكد الانجليز لسعد زغلول
اعتزامهم على 'شراك' السلطان فى المفاوضات، واعتبروا
ذلك شرطا ضروريا . فماذا كان موقف سعد زغلول ،
وماذا كان موقف قادة الوفد الآخرين ؟ .

يقول سعد فى مذكراته الخطية وتحت تاريخ (٧ منه)
(٧ يوليو ١٩٢٠) : « حضر مستر ولرند (مندوب اللورد
ملتر) الساعة السادسة مساء ، وأخبرنى بأن اللورد
ملتر كان أرسل تلغرافا الى اللورد اللنبى (المندوب
السامى البريطانى فى مصر) فى ٣٠ يونيو (حزيران)
جوابا على أسئلته المتكررة عن سير المفاوضات، وأطلعنى
على هذا التلغراف بالانجليزية ، وترجمه هو بمساعدة
محمد محمود باشا . وجاء فى التلغراف : « الفرض
الذى نرمى اليه هو عقد محالفة بين بريطانيا ومصر ،
تضمن انجلترا بواسطتها استقلال مصر وسلامة كيائها
بصفة كونها مملكة دستورية » ، وجاء فى التلغراف :
« كل معاهدة من هذا القبيل ستأخذ شكل محالفة بين
جلالة الملك والسلطان ، ويصير من الضرورى تدخل
السلطان عند انتهاء المفاوضات ، بمجرد تحقق اللجنة
من أن زغلول وزملائه يريدون هذه المعاهدة . وكان

المتفق عليه — في أول الأمر — أن هذه المحادثات لا تكون إلا جسا للنقض ، ثم إذا أخذت شكلا مرضيا — كما هو المنتظر — يكون من الضروري تجاوز هذا الدور الى الدور الرسمي مع مندوبين رسميين يتعينون من الحكومة المصرية . ويلزم أن يكون تعيين هؤلاء المندوبين بواسطة السلطان الذى يحتل المكان الأول فى المفاوضات . ومن البديهي أن زغلول وواحدا أو اثنين من زملائه ، وعدلى يكن باشا — الذى كان لوجوده تأثير حسن معتدل — يجب أن يكونوا ضمنهم « (١) » .

وهكذا ، فوجيء سعد زغلول وهو فى لندن أن امرا يدبر لارغامه على الخضوع للسلطان والتنازل له عن الزعامة وعن زمام المبادرة .

وثار سعد ، ويصف ثورته هذه فى مذكراته قائلا : « فاعترضت اعتراضا شديدا على ما تضمنته هذا التلغراف » ، وقلت له : « اننا نرفض أن نتفاوض بأمر السلطان بالاشتراك مع أى انسان كان ، بل لا نقبل هذا السلطان » (٢) .

هذا الموقف الحاسم ، قوبل من قيادة الوفد المصرى بالرفض بل بالذهول الغاضب الذى أجبر سعد على أن يجابههم مجابهة عنيفة باللغة العنف وصلت الى حد التهديد . ولنمض مع سعد فى مذكراته التى سجل فيها

(١) سعد زغلول — مذكراته الخطية — ص ٢٠٤٨ .

(٢) المرجع السابع ص ٢٠٥١ .

كيف هاجمه أعضاء « الوفد » بعنف واتهموه ولاموه .
يقول سعد : « قلت الأمر سهل هين . ان كنتم مع قبول
تلك الملاحظات تمضون ، فهذا شأنكم ولا حرج على
حريتكم » . قال قائل منهم : « ورايك انت ؟ » قلت :
« أنا لا أقبله ولا أمضيه » . قالوا : « كيف تخالف
الاجماع ؟ » ، (وهكذا يتضح ان الاعيان اجتمعوا جميعا
على معارضة موقف سعد زغلول الذى تحداهم وتحدى
اجماعهم) قلت : « اخالف كل اجماع فى مسألة أساسية
وهذه من أخص المسائل الأساسية ، فلا اطيع فيها غير
صوت ضميرى » . قالوا : « ولكن مبدأ التضامن ماذا
تقول فيه ؟ » . قالت : « لا أتضامن مطلقا فى مخالفة
الأساس ، ولا أتضامن مطلقا فى هذا » .

وحاول « الاعيان » حصار سعد زغلول وحاولوا
ارغامه لكنه أبى . وعندما وصل الى حافة اليأس صاح
فيهم : « وما تقدرُونَ عليه فلکم فعله ، من محاكمة
فحاكموا ، أو تأديب فأدبوا ، أو رقت فارفتوا ، ولكن
شيئا واحدا لا يمكنكم ، وهو أن تقهرونى على الامضاء ،
فان هذا ليس فى استطاعتكم ، وما اتيد حرية أحد منكم ،
ولا أسمح لواحد من خلق الله أن يعتدى على حريتى
فى اعتقادى ، وافعلوا ما شئتم وقولوا ما شئتم » (١) .

الى هذا الحد ، كان سعد يعانى من قيادة الوفد ،
والى هذا الحد ، كان يضطر الى مجابتهم .

وثمة رواية أخرى تعزز هذه الفكرة ، أيضا ، يرويها

(١) المرجع السابق - نفس الصفحة .

حمد باشا الباسل وكان عضوا مع الوفد المصرى فى باريس فيقول انه : « لاحظ ان نفوس الاعضاء لم تكن متآلفة ، كان الاعيان من الاعضاء يقولون ان سعد زغلول يريد اعلان الجمهورية فى مصر ، ويعتقدون انه بذلك سيخرب البلد ، ولم يكن سعد زغلول فى اول الثورة من انصار الجمهورية ، ولكن بعد شهر من قيامها بدأ يفكر فيها والسبب اننا كنا متغيبين فى مالطة وجاءت برقية تقول ان احدى المديريات أعلنت استقلالها وأعلنت الجمهورية .

واهتم سعد زغلول بهذا النبأ ومكث يحدثنا فيه حتى الصباح . .

ويمضى حمد الباسل فى ذكرياته قائلا : « وكان أعضاء الوفد — وخصوصا الاعيان منهم — يرون ان هذا اتجاه جنونى وانه سيؤدى الى انفضاخ الاعيان عن الثورة والى قيام البلشفية . وقال عبد العزيز فهمى : اذا كنا لا نستطيع ان نحتمل سعد زغلول كرئيس وفد فكيف نحتمله رئيس جمهورية ؟ وكان سعد يسمى المعارضين فى خلع السلطان « جمعية عبيد السلطان » (١) .

فاذا كان هذا هو حال سعد زغلول مع قيادة الوفد ، وقد كان « باعتداله » ، و « مرونته » أكثر قبولا لديهم من « رئيس » اشتهر بالتطرف مثل النحاس ، فكيف

(١) مصطفى أمين — الكتاب الممنوع — أسرار ثورة ١٩١٩ —
الجزء الاول — دار المعارف ص ٢٩

يكون الأمر بالنسبة للنحاس ، علما بأن « سعدا » كان قد اكتسب — أيضا — رصيذا هائلا من محبة الجماهير والتفافها حوله خلال أيام الثورة . . بحيث كانت معارضته — في نظر الجماهير — نوعا من أنواع الخيانة للوطن ولقضاياها .

ولكى نستطيع القياس يكفي أن نقول ان النحاس كان على يسار سعد ، وكان أكثر تطرفا واشد راديكالية منه . ولم يكن هناك ما يشده نحو طبقة « الأعيان » أو يربطه بها بينما كان « سعد » شديد العلاقة بالطبقة وأن تميز عن « رجالها » . وكنموذج للعلاقة بين سعد والنحاس سنكتفى بإيراد الواقعة الآتية :

عندما شكل سعد وزارته الأولى عام ١٩٢٤ — وكان النحاس فيها وزيرا للأوقاف — حاول الانجليز إبداء حسن نواياهم تجاهه ، وأعربوا له عن طريق كير — القائم بأعمال البريطانى — عن استعدادهم لتلبية مطلبه بالافراج عن المسجونين السياسيين الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية (١) .

وفي ٧ فبراير (شباط) ١٩٢٤ ورد لسعد خطاب من كير يعلنه فيه أن الحكومة البريطانية « مستعدة لأن توافق — الى أبعد حد ممكن — على عفو عام عن جميع المسجونين الذين « يمكن » الافراج عنهم طبقا لرأى

(١) د. عبد الخالق لاشين — سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية — دار العودة بيروت — ص ٣٦١ .

دولتكم ، ورأى ، بغير أحداث اضطراب للامن العام ،
وأضاف : « أن الحكومة البريطانية مستعدة للتنازل عن
ضرورة عرض قضاياهم على اللجنة المشكلة ، طبقا
للمذكرات المتداولة بتاريخ ٥ يوليو (تموز) ١٩٢٣ » (١) .

وفي ٨ فبراير توجه القائم بالأعمال البريطانى لزيارة
سعد زغلول وأبلغه أن الانجليز يرون ألا يشمل العفو
سبعة أو ثمانية اشخاص من الذين حكم عليهم مؤخرا .
ووافق سعد زغلول على ذلك بل وأبلغه شكره .

وأعقب ذلك اجتماع لمجلس الوزراء ، وعرض عليه
الأمر فسكان المعارض الوحيد على هذه المساومة هو
مصطفى النحاس .

ولنترك سعد زغلول ليروى هذه الواقعة في مذكراته :
« .. وكان من رأى النحاس أن نفتح السجن لكل محكوم
عليه من المحاكم العسكرية فرأيته رأيا شططا وانتهرته
لأنى رأيته قد شطح كثيرا » (٢) .

(١) ملف القضية رقم ١٠٤ كلى مصر لسنة ١٩٢٦ محفظة رقم (١)
والملف مودع بالمتحف القضاى .
وبراجع أيضا :

— مذكرات عبد الرحمن نهي محفظة رقم (٤) (ملف ٢٤ — ٢٥)
ص ٢٠ — ٢١ — ٢٥ .
— وأيضا :

— WAVELL — Allenby in Egypt — London (1944)
pp. 103.

(٢) سعد زغلول — مذكراته الخطية — الكراس رقم ٧
ص ٢٧٨٤ .

فماذا يمكن أن يكون موقف هؤلاء الأعيان الذين عارضوا سعدا أشد المعارضة والجأوه الى أن يصرخ في وجوههم : « وما تقدروا عليه فلکم فعله ، من محاكمة فحاكموا ، أو تأديب فأدبوا ، أو رقت فارفتوا » . ماذا يمكن أن يكون موقفهم من شخص يرى فيه سعاد انه « يشطح كثيرا ؟ » .

ولكى نعرف مدى نفوذ كبار الملاك العقاريين في قيادة حزب الوفد يكفى أن نقول انهم كانوا يشكلون نسبة ٨٣٪ من مجموع أعضاء أول لجنة مركزية لحزب الوفد . وفي ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٢ ضم الوفد ١٢ عضوا جديدا الى قيادته كان منهم ٨ من كبار الملاك الزراعيين (١) . وبعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، عاد الوفد ليعزز مواقع كبار الملاك الزراعيين في صفوف قيادته العليا ، فضم اليها أمثال فؤاد سراج الدين باشا - محمد سليمان الوكيل ، محمد المغازي عبد ربه باشا ، محمد الحفنى الطرزي باشا ، محمد محمود خليل بك ، بشرى حنا بك (٢) وكلهم من عتاة الاقطاعيين .

فاذا ما أخذنا نموذجا آخر هو عضوية المجالس التشريعية (مجلس الشيوخ والنواب) فإنا نجد أن

(١) المقطم ١٩٣٢/١٢/٣ (وقد اعتمدنا في تحديد كبار الملاك الزراعيين في هذه الاحصائيات والاحصائيات التالية على أساس قوائم الخاضعين لقانونى الاصلاح رقم ٧٨ لسنة ١٩٥٢ ورقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١) .

(٢) محمد زكى عبد القادر - أقدام على الطريق - (١٩٦٧) - ص ٣٤٧ .

هيئة مجلس الشيوخ الأولى (١٩٢٤ - ١٩٣٠) وكان للوفد النفوذ الأساسي فيها كانت نسبة كبار الملاك فيها ٨٨ عضوا من ١٧٨ أى ٥٠٪ وفي الهيئة الثالثة للمجلس التى بدأت عام ١٩٣٦ والتي كانت للوفد نفوذ كبير فيها أيضا كانت نسبتهم ١٥١ عضوا من ٢٩٩ أى ٥٠٪ أيضا (١) .

فاذا انتقلنا الى مجلس النواب ، وحاولنا تتبع الهيئات النيابية التى كان للوفد السيطرة الحزبية عليها ، فانتسنا نجد مثلا أن الهيئة النيابية الأولى (١٩٢٤/٣/١٥ - ١٩٢٤/١٢/٢٤) وهى التى سجل فيها حزب الوفد أول اكتساح انتخابى كانت نسبة كبار الملاك فيها ٥٣٪ والدورة السادسة (١٩٣٦/٥/٢٣ - ١٩٣٨/٢/٢) وكانت غالبيتها الساحقة ، أيضا ، لحزب الوفد - كانت نسبة كبار الملاك فيها ٤٨٪ (٢) .

فاذا اتينا الى مجالس الوزراء نجد أيضا أن النسبة الغالبة من وزراء حزب الوفد كانوا من كبار الملاك .

ولقد تشكلت فى مصر ، منذ وزارة حسين رشدى باشا ، فى ١٩١٤/٤/٥ ، وحتى وزارة على ماهر التى ألفها عقب قيام ثورة يوليو (فى ١٩٥٢/٧/٢٤) خمسون وزارة كان متوسط نسبة كبار الملاك الزراعيين فيها

(١) د. عاصم أحمد الدسوقي - كبار ملاك الاراضى الزراعية ودورهم فى المجتمع المصرى من ١٩١٤ - ١٩٥٢ . رسالة دكتوراه (غير منشورة) ص ١٦٩ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٦٨ .

٥٨٣/٥٨٣ (١) . ولقد يبدو هذا الرقم مثيرا وغريبا . ولكن الشيء الأكثر إثارة وغرابة هو أن نسبة كبار الملاك في وزارات حزب الوفد كانت تزيد بكثير عن هذه النسبة المتوسطة . ففي الوزارة التي ألفها النحاس باشا بعد حادث ٤ فبراير — (١٩٤٢/٢/٤ — ١٩٤٢/٥/٢٦) كان عدد الوزراء ١١ وزيرا منهم ٧ من كبار الملاك الزراعيين أي بنسبة ٦٣٪ . ولما أعاد النحاس تشكيل وزارته في ١٩٤٢/٥/٢٦ بعد طرد مكرم عبيد ارتفع عدد كبار الملاك الزراعيين إلى تسعة وزراء من ١٤ أي بنسبة ٦٤٪ (٢) .

وهكذا فقد قدر على مصطفى النحاس أن يدير دفعة الأمور في حزب يضم أمواجا هائلة من جماهير غير منظمة وقيادة تسلطت عليها وعلى أدوات التحكم فيها (الوفد المصري — مجلس الشيوخ — مجلس النواب — مجلس الوزراء) نسبة عالية بل ومتصاعدة من كبار الملاك الزراعيين .

وكان لا بد لذلك كله من أن يترك أثره على أسلوب « الزعيم » ومنهجه وطريقته في تناول الأمور .

ولعلنا نخطئ خطأ فادحا لو تصورنا أن النحاس كان مطلق التصرف في اتخاذ القرار الذي يريد وخاصة في حزب كحزبه .

(١) المرجع السابق — ص ١٧٨ .

(٢) قواد كرم — النظرات والوزارات المصرية — الجزء الاول —

دار الكتب المصرية ص ٤١٧ .

ولعلنا نخطيء — أيضا — لو تصورنا أن الانقسامات المتعاقبة والتي دبرها أعداء الوفد في السراي لم تكن لتترك أثرا شديدا على حرية النحاس في الحركة وقدرته على المناورة .

والحقيقة ، أن النحاس قد تلقى — خلال زعامته للحزب — عدة صدمات عنيفة لعل أولها انشقاق محمود فهمي النقراشي باشا والدكتور أحمد ماهر باشا وكانت لهما مكانة عزيزة في قلوب الوفديين . فقد نظر اليهما طويلا كأبطال للمقاومة السرية ضد الاحتلال . ويؤكد د . محمد حسين هيكل باشا في مذكراته أن الشيخ محمد مصطفى المراغي ، شيخ الجامع الأزهر ، وكان من المستشارين المقربين للقصر ، كان يدبر المؤامرات لحث النقراشي وماهر على الانشقاق بهداف « انقسام الوفد وضعفة » (١) .

ثم ما لبثت مؤامرات على ومصطفى أمين ضد النحاس أن أثمرت فتحولت صنفية زغلول — تحت تأثيرهما — الى سياسة مناوئة للنحاس . وهكذا « انقلب بيت سعد زغلول بقيادة مصطفى وعلى أمين حربا على الوفد ، وخاصة بعد أن أصدر جريدة اخبار اليوم في خدمة القصر . وبهذه الخاتمة المؤسفة انقلب « بيت الأمة » الى بيت « خصوم الأمة » (٢) .

(١) د . محمد حسين هيكل . مذكرات في السياسة المصرية ج ١ ص ٤٣ .

(٢) د . عبد العظيم رمضان — تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩٣٧ الى ١٩٤٨ — الجزء الاول . ص ١١٢ .

وكانت الضربة الثالثة هي انقسام مكرم عبيد باشا
أحد الأركان الأساسية في الحزب . والحقيقة أنه برغم
أن مكرم عبيد لم يخرج من الوفد إلا بنفر ضئيل جدا ،
لا يؤثر في قليل أو كثير في الكثرة العددية للحزب ، إلا أنه
بمكانته الشخصية وبتاريخه الطويل في الوفد ، وبالحملة
العنيفة والقياسية التي شنّها على الوفد وعلى النحاس
شخصيا عقب انشقاقه عن الحزب قد ترك جرحا داميا
بغير شفاء في جسد الوفد .

وبرغم أن الكثيرين يعرفون حق المعرفة أن انقسام
مكرم عبيد ، وما تلاه من معركة ، لتشويه سمعة الحزب
وسمعة النحاس باشا وأسرته كانت مؤامرة دبرتها
السراي ، إلا أن الضوضاء التي صاحبت صدور الكتاب
الأسود والمعلومات التي وردت فيه (وكثير منها
صحيح) قد تركت أثرا مؤلما واحساسا بالمهانة لدى
الكثيرين من الوفديين المخلصين . .

والشيء المؤكد ، أن النحاس باشا كان بشخصه
نظيفا ونزيها بصورة لا تقبل النقاش . وكان يعلم ،
باحساس مرهف ، أنه ما من إنسان يستطيع أن يتصدى
لزعامة شعب كشعب مصر وأن يحافظ على مكانته في
قلوب جماهيره ما لم تكن نزاهته فوق أية شبهات . .

لكن المؤكد أن الكثيرين من قادة الوفد ، وخاصة
من تلك الفئة من كبار الملاك الزراعيين ، لم يكونوا —
بأية حال — فوق مستوى الشبهات . وقد روجوا لفكرة
غريبة تقول : أن الوفديين قد عانوا من الاضطهاد
طوال فترات حكم الأقلية ، وأنه يتعين إتاحة الفرصة

امامهم لبعض « الكسب » تعويضا عن « شطف » السنوات الماضية .

ولقد تفشت المحسوبية بالفعل ، لكنها لم تكن طابع الحكومات الوفدية وحدها بل طابع النظام الحاكم ككل . غير انه لم يكن بإمكان الوفد ، كحزب وطد عزمه على مقاومة الاحتلال والسراى واحزاب الاقلية ، ان يعارض هؤلاء جميعا ثم يبقى بمنجاة من تشهيرهم خاصة وأن كثيرا من رجاله لم يكونوا بالفعل بعيدين عن الشبهات .

وهكذا ، وبعد حياة حافلة بالنضال والتحدى الشجاع والتعفف ونظافة اليد يجد النحاس نفسه مطالبا بأن يدفع الاتهم عن نفسه وأسرته وحزبه ، ويجد من يجرؤ على ان يسجل فى تقرير رسمى دونه لجنة مشكلة بقرار من مجلس الوزراء عبارات تقول : والواقع الذى لا يسع اللجنة الا تسجيله — مع بالغ الحزن والاسف — ان فضائح العهد الماضى لفرط جسرة أصحابها واستهتارهم بكل مسئولية ، لم تكن مقصورة على الحاكمين ، ومن ليهم من المحسوبين عليهم من الأقرباء والأنسباء ، بل تعدتهم الى محيط أوسع شمل الكثيرين من أعضاء الهيئات النيابية والموظفين والأهلين . وقد ساءهموا جميعا فى هذه العمليات كل بسهمة ، اما كشريك أو كعميل أو كوسيط ولقد كانت النتيجة المحتومة لذلك النشاط المشئوم ان العهد نفسه طبع بطابع الاستغلال المعيب « (١) » .

(١) تقرير لجنة التحقيق الوزارية فى الوقائع والتصرفات الماسة بنزاهة الحكم فى عهد الوزارة النحاسية الأخيرة — المطبعة الاميرية بالقاهرة . (١٩٤٥) ص ١ .

وهكذا حكم القدر على النحاس ان يتحمل عبء الدفاع والتكفير عن اخطاء غيره . . . وحكم عليه ان يمضي في معركته محارباً في اكثر من جبهة ، وضد اكثر من عدو . ولعل معركته الكبرى كانت داخل صفوف حزبه ذاته . .

لكننا ، ولكي لا يساء فهم ما نقصد ، نود ان نؤكد ان كل ما سبق من عوامل سلبية ، وان تركت أثراً حاسماً وضرورياً على قدرات «الزعيم» وامكانياته في الحركة ، وحدثت من حرите في المناورة وقللت بالضرورة من قوة الدفع في حركته ، الا انها لم تغير من طابع الحزب كحزب وطني ديمقراطي مناهض للاستعمار وللحكم الاتوقراطي للسراى ، ولأحزاب اقلية التي لم تجد من سبيل للحكم سوى الخيانة السافرة . .

فبرغم كل ما سبق ظلت جماهير حزب الوفد الغفيرة وجموع الشباب الثورى في صفوفه قادرة على التمسك — والى حد كبير — بالتراث النضالى للحزب وظلت قادره — فى كثير من الاحيان — على شل اليد الرجعية عن ان تنفرد بزمام الامور فيه . .

ولعل أهم ميزة فى مصطفى النحاس هو قدرته على الاحساس بنبض حركة الجماهير ، وعلى الوصول اليه ، وعلى استخدامه سلاحاً فى معركته المستمرة ضد أعدائه خارج وداخل الحزب . .

فبغير هذا الايمان العميق بالشعب وبالجماهير ما كان يمكن لرجل مثل مصطفى النحاس ان يثبت على مبادئه وان يتشبث بها فى وجه أعاصير عاتيه .

* * *

الفصل الثالث

الزعيم

عندما عين اللورد كيلرن (السير ما يلز لامبسون) مندوبا ساميا بريطانيا في مصر ، في فترة عصيبة من احلك فترات الامبراطورية البريطانية ، تلقى من رؤسائه تحذيرا وحيدا . . « خذ حذرك من مصطفى النحاس » .

وعندما اقام كيلرن حفل الاستقبال الاول ، بعد وصوله الى مصر ، تجاهل كل من حضرها من السياسيين المصريين ، وتعلقت ابصاره بسلم قصر المندوب السامي البريطاني ليرى النحاس باشا وهو يصعد الدرج ، بسرعة وعصبية . ووصفه في مذكراته قائلا رجل ضئيل الجسم يرتدى ردنجوتا فضفاضا ، يصعد بسرعة ، يبرز صدره الى الامام وكأنه يتحدى العالم . ويشعر « كيلرن » انه امام « خصم » حقيقى . .

اما دافيد كيلي ، مستشار دار المندوب السامي البريطاني ورجل مخابراتها العتيد ، فقد وصف النحاس بانه « رجل بسيط ، لكن بساطته معقدة ، تشبه بساطة الثعلب الماكر » .

ولعل اعدى خصمين للنحاس « كيلرن » و « كيلي » قد استطاعا بالفعل ان يلخصا — ولو بصورة مبهمة . هذه الشخصية التاريخية الفذه : شخصية « مصطفى النحاس » .

ابن تاجر ريفى صغير ، درس الحقوق ، واصبح محاميا فقاضيا . انضم الى « الوفد المصرى » ممثلا « للحزب الوطنى » . ثم فجأة يتخطى الجميع . يقفز ، متجاوزا اقرب المقربين من سعد ، ليصبح وببساطة الرجل الثانى فى الحزب . . ثم خليفة سعد زغلول .

مصطفى النحاس ، ذلك الرجل الذى استحوذ ،
ببساطته وعناده فى الدفاع عن حقوق مصر ، على حب
شعب بلاده ، واستحوذ على اكبر قدر من العداء
والخصومة .. من خصوم مصر واعدائها ..

هذا الرجل .. الذى جسد فى بساطته ودهائه ، فى
استسلامة العنيف وتمرده الهساذى ، فى مرونته
و ندفاعه ، فى عصبيته الظاهرة ، وتصرفاته المدروسة ..
جسد ، فى ذلك كله ، مدرسة متكاملة فى السياسة
المصرية استطاعت ان تتخذ لنفسها مكانا خاصا من
قلوب الامة .. وتاريخها ..

خليفة سعد ، حبيب الامة ، زعيم الشعب ، الرئيس
الجليل ، حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس .



عندما مات سعد زغلول كانت مصر كلها حزينة ،
ذلك النوع من الحزن الذى يطغى على كل شىء ، فيصبح
رمزا للحب والوجد والرغبة معا .

وتكتب جريدة البلاغ « مات سعد .. بغير هذا النبأ
أعدت الاسماع ، وبغير هذه الصيحة جرت الالسنه .
بالحياة اقترن اسم سعد ، فما سمعناه الا والحياة له
لزام ، والدعاء له صلاة وقيام ، وما عرفنا سعدا الا حيا

تسرى منه حياة الى النفوس ، وتحقق بسة قوة في
القلوب «(١)» .

فمن هو الرجل الذى يستطيع ان يملأ هذا الفراغ
الهائل ، ان يدفع تلك الملايين من الحناجر التى هتفت
من اعماقها « يحيا سعد » الى ان تهتف وبنفس الحماس
« عاش النحاس » .

والحقيقة ان الكثيرين لم يتصوروا ان ذلك الرجل
البسيط ، الحاد المزاج .. الهادئ التفكير يمكنه ان
يخلف سعد .. بل ان احدا من المراقبين لم يرشحه
لذلك ..

الدبلى تلجراف البريطانية رشحت فتح الله بركات (٢)
اما جريدة « وست منستر جازيت » فقد تنبأت بانتيار
حزب الوفد (٣) .

اما « الدبلى اكسبريس » فقد نشرت تقول : ان
دوائر الوفد تميل ميلا صريحا الى معارضة كل سعى
لا يجاد خلف لزغلول باشا في رئاسة الوفد . وتعترف
انه من المستحيل ، في الظروف الراهنة العثور على أى
شخص قادر على تحمل هذا العبء الثقيل .. وان
النية تتجه لتعين لجنة تنفيذية صغيرة العدد (٤) .

-
- (١) البلاغ ١٩٢٧/٨/٢٨ .
 - (٢) المقطم ١٩٢٧/٩/٤ .
 - (٣) الاهرام ١٩٢٧/٩/٤ .
 - (٤) الاهرام ١٩٢٧/٩/١٥ .

وبدأت صحف المعارضة تنشر برقيات من لندن تقول : ان تكوين لجنة ثلاثية لقيادة الوفد سوف تؤدي الى تمزيق وحدة الوفد (١) ، بل ان (التيمس) اللندنية قد أكدت استحالة اختيار شخص « يخلف الزعيم الراحل الذي يتفوق على جميع اتباعه تفوق النخلة على صفار الشجر (٢) » .

وكان « النحاس باشا » في أوروبا عند وفاة « سعد » فعاد مسرعا ، ووقف أمام قبره في حشد من قادة الوفد ليقسم أمام الجميع ، وهو يبكي ، على المضي في الجهاد قائلا : ان روح سعد ستظل مشرفة علينا ترقب جهادنا ، وتغذي نفوسنا حتى ننال الاستقلال التام (٣) .

وهكذا حول النحاس الحزن الجارف الى واجب محدد « الجهاد لنيل الاستقلال التام » .

وفي يوم ١٤ سبتمبر ١٩٢٧ ، اجتمع الوفد المصري بكامل هيئته ليقرر انتخاب « مصطفى النحاس » رئيسا . ولكنه قرر عدم الاعلان عن اختياره حتى يعرض الامر على الهيئة البرلمانية للحزب .

وفي ١٩ سبتمبر ، عقد الوفد المصري اول اجتماع له برئاسة مصطفى النحاس ليوجه بيانا الى الامة جاء فيه :

-
- (١) السياسة ١٩٢٧/٩/٨ .
(٢) الاهرام ١٩٢٧/٩/١٠ .
(٣) السياسة ، البلاغ ١٩٢٧/٩/١٥ .

أيها المصريون ، ان الوفد المصري وقد كان اول
مظهر لنهضتكم وأجرا وثبة الى مجدكم ، لا يزال باقيا ،
وسيبقى مقياسا لقوتكم ، وعنوانا حيا لجهادكم ، ونواة
لوحدتكم ، ولسان صدق لآمالكم والامكم . لقد فجع
الوفد في رئيسه ، ولكنه لا يزال حيا قوى الحياة بأتمته ،
واحدا في كتلته ، أمينا على عهده ، وفيا ليوميه وغده . .
ولن يترك ميدان الشرف حتى يتحقق مجد البلاد باستقلالها
صحيحا ، وحريتها كاملة (١) .

انها نفحات النحاس . . حماسه ، اصراره ، حسمه ،
تطل من البيان الاول لتحديد مصير الوفد ، ومصير النضال
ضد الاحتلال .

ومع ان اسم النحاس لم يعلن رسميا ، فقد تسرب
الخبر كأحد الاحتمالات ، فأحدث ذلك فزعا في صفوف
خصوم الوفد ، وفي مقدمتهم الانجليز . . قالت « وست
منستر جازيت » لقد تردد اسم النحاس باشا وهو من
الجناح الأيسر في الوفد ، في حين ان بركات باشا
والشمسي باشا حائزان للميل للجناح الأيمن (٢) .

أما مراسل الديلى تلجراف فقد أرسل يحذر من
احتمال ان يتولى النحاس رئاسة الوفد وقال « وإذا
صح هذا ، فانه يعنى رجوع الوفد الى سياسة المعارضة
الشديدة لكل سعى لعقد اتفاق بين انجلترا ومصر على

(١) أحمد شفيق باشا — حوليات مصر السياسية — الحولية
الرابعة — عام ١٩٢٧ — ص ٤٧٤ .

(٢) المقطم ١٩٢٧/٩/٢١ .

اساس تصريح ٢٨ فبراير . . ويعنى ان الوفد قد صرف النظر عن سياسة التوفيق الهادئة التى يمثلها فتح الله بركات باشا « (١) .

ويبدو ان الانجليز كانوا يمارسون نوعا من الضغط طلبا لزعيم معتدل للوفد ، وليتجنبوا بالتحديد اختيار مصطفى النحاس الذى وصفوه أكثر من مرة بأنه يمثل « يسار » الوفد .

وردا على هذه المحاولات ، كتب عباس العقاد الذى كان وفديا وقتذاك : « لقد ذهب أوان الايقاع باسم الاسلام والمسيحية . وباسم الباشوات وأصحاب الجلايب الزرقاء . وباسم الأحزاب والزعماء ، ووصلنا الان الى دور الايقاع باسم التطرف والاعتدال فى هيئة واحدة هى على الجملة هيئة المتطرفين الغلاة فى عرف السياسة البريطانية » (٢) .

ولم يعبأ النحاس باتهامه بالتطرف . وفى نفس اليوم الذى أعلن فيه رسميا اختياره زعيما للوفد القى خطابا ملتهبا معاهد الأمة على « أن نسير فى طريقنا المرسوم حتى تنال البلاد غايتها من الاستقلال التام الصحيح والحرية الكاملة » (٣) .

وفى أول تصريح صحفى أدلى به النحاس ، بعد توليه

(١) الاهرام ١٩٢٧/٩/٢١

(٢) البلاغ ١٩٢٧/٢/٢٢

(٣) الاهرام ١٩٢٧/٩/٢٧

زعامة الوفد ، أكد : « أن الاستقلال التام هو غايتنا ، والعمل له هو موضوع جهادنا ، وهو الذي أكدنا عليه عهدنا » (١) .

لكن النحاس — كعادته — يتعجل الصدام . وكان أول صدام يخوضه بعد اسبوع واحد فقط من توليه الزعامة . فقد اقترب يوم ٩ أكتوبر (عيد الجلوس الملكى) وقرر الرجل أن يمنع « الملك » من الاحتفال بعيد جلوسه ، احتراماً لأحزان الأمة على وفاة سعد . وبدأت الصحف الوفدية حملة عنيفة على الحكومة التى حاولت الاحتفال . . . وكتب عزيز ميرهم عضو مجلس الشيوخ الوفدى مقالا عاصفا : « فليهنأ بالعيد من يشاء ، وليهنأ بالزينة ضعاف العقول صفار الاحلام ، وليشترك فى الوليمة اشخاص ليس لهم فى الوطن نصيب لا قليل ولا كثير ، ولتفتح خزينة الدولة على مصرعها تغدق أموال الفقراء فيما لاحظ لهم فيه ، نافعاً كان أو ضاراً . كل ذلك وضع للشئ فى غير محله ، وخروج مفضوح على الواجبات الأولية للمجاملة واللياقة ، ونصب الأفراح وسط المأتم العام » .

ولكن المقاتل العنيف يمضى عنيفا الى نهايته ، موجهها الهجوم الى شخص الملك « يجب أن نعلم جميعا ان جلالة الملك ، مدين للحركة الوطنية التى كان سعد على رأسها ، ولولا قيام تلك الحركة التى ساسها سعد بحكمته واقتداره لما كانت مصر اليوم مملكة ، وكانت مجرد

(١) البلاغ ١٩٢٧/٩/٢٩ .

سلطنة ترزح تحب عبء الحماسة « (١) وكان هذا المقال نغمة جديدة تماما في التعامل بين « الوفد » و « القصر » أعلن به النحاس ، وبعد أسبوع واحد فقط من توليه رئاسة الوفد ، موقفا جديدا وجريئا تفرد به على مدى تاريخ مصر الحديث ، هو الصدام العنيف ضد سلطة القصر ، والحكم الأوتوقراطي .

وهكذا بدأ الرجل البسيط ، ابن تاجر الأخشاب الصغير في سمنود .. معركته مع القصر الملكى .

تلك المعركة التى بلورت الوجدان الشعبى ، رويدا رويدا ، وعبر سلسلة من الصدامات ، والاقالات ، والتحديات ، على حقيقة أن الشعب هو السيد وان الملك مجرد خائن عميل للاستعمار .

ولعل تلك المعركة .. التى بدأها النحاس بعد أسبوع واحد من توليه الزعامة .. مفتاح هام لفهم تلك الشخصية التى عجز الكثيرون عن فهمها .

ولم تكن هذه أول الصدامات ولا آخرها ، لكنها مجرد نموذج .. وحتى قبل أن يتولى النحاس زعامة الوفد ، وعندما كان محاميا يترافع عن أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى ، فى قضية اغتيال السير لى ستاك ، وقف النحاس ليعلن وبأعلى صوته « انى اتهم علنا ، وفى مجلس القضاء ، النيابة العمومية

(١) الاهرام ١٩٢٧/١٠/٥ .

بالاشتراك مع رجال السلطات في التدبير لاغتيال ماهر والنقراشي .. اكتبوا هذا عني ، وانثروه على الملأ» (١) .

وأمسك الجميع أنفاسهم ، فالجميع يعلمون أن كلمة « السلطات » هذه تعني « دار المندوب السامي البريطاني » .. شخص واحد لم يمسك أنفاسه فجبر اتهامه في بساطة شديدة وأكمل مرافعته ومضى .. هو مصطفى النحاس ، أنه مفتاح آخر لفهم شخصية الرجل .

بل ان النحاس المحامي قد قبل ان يوكل في قضية الأمير سيف الدين الخصم اللدود للملك ، والذي اطلق عليه الرصاص ، وقرر الملك وضعه في مستشفى للأمراض العصبية ، لكنه هرب لكي يبحث عن محام شجاع يطالب بحقوقه وميراثه ، ولم يجد محاميا أكثر جراءة من النحاس ليتراجع في قضيته ضد الملك (٢) .

وعلى امتداد الثلاثينات ، ركز النحاس نضاله ونضال حزبه في أربعة اتجاهات رئيسية :

١ — النضال ضد الاحتلال البريطاني .

٢ — النضال ضد السراي وضد السلطة الأتوقراطية .

(١) صلاح عيسى — حكايات من مصر . دار الوطن العربي بيروت — ص ٢٦٢ .

(٢) صلاح عيسى — المرجع السابق — ص ٢٦٠ .

٣ — النضال ضد الاتجاهات الفاشستية والعناصر
الموالية للمحور والاتجار بالدين .

٤ — النضال من أجل الدستور ضمانا لحق الحزب
صاحب الأغلبية البرلمانية في الحكم .

١ — ضد الاحتلال البريطاني

كانت دار المندوب السامي البريطاني هي المصدر
الأساسي للسلطة . ومن هنا كانت « أحزاب الأقلية »
تستمد قدرتها على البقاء في الوزارة أبعادا « للوفد »
صاحب الأغلبية البرلمانية دون منازع على امتداد
تاريخ الحياة البرلمانية منذ فجر الاستقلال وحتى ثورة
يوليو ١٩٥٢ . وإذا كانت أحزاب الأقلية قد استمدت
قدرتها على الحكم من خضوعها لسلطات الاحتلال فقد
استمد الوفد نفوذه الانتخابي الكاسح من تقاليد نضاله
ضد الاحتلال .

وبرغم ما في معاهدة ١٩٣٦ من مساومات ، تمثل
الطابع الأساسي لبنودها ، فإنه يمكن فهم مبررات عقد
هذه المعاهدة في ظروفها وملابساتها التي أملت على
البورجوازية المصرية ضرورة التوصل الى اتفاق مع
بريطانيا في هذا الوقت بالذات . وأملت على بريطانيا
ضرورة عقد مثل هذه المعاهدة في هذا الوقت أيضا .
فقد « كان الانجليز حريصين على عقد معاهدة مع
مصر تكفل لهم حقوقا قانونية » تمكنهم من استخدام
أراضي وموارد مصر في حرب كان العالم أجمع يتوقع

نشوبها . كذلك كان الزعماء المصريون حريصين ، هم
ايضا ، على توقيع معاهدة مع الانجليز : ليس فقط من
أجل الحصول على مكاسب جديدة مثل إلغاء الامتيازات
الأجنبية ، والتأكيد على الاستقلال السياسى . . الخ
وانما ايضا لأنهم شعروا بالانزعاج من النفوذ الايطالى
القريب فى ليبيا ، ثم الغزو الايطالى للحبشة (حيث موارد
النيل) ، وحيث الحدود ملاصقة للسودان ، الأمر الذى
دفعهم الى طلب نوع من الضمان البريطانى «(١)» .

لكننا وبرغم ذلك نلاحظ أن النحاس ، وكل مفاوضى
الجانب المصرى فى معاهدة ١٩٣٦ [وأغلبهم من الوفديين]
قد انساقوا أكثر مما يجب فى المساومة ، ولم يحسنوا
استخدام لا الظروف الدولية المواتية ، ولا عوامل السخط
الشعبى المتفجرة كأدوات للضغط للحصول على مكاسب
أكثر من الانجليز .

وكانت النتيجة حملة عاتية من قوى عديدة ضد
النحاس وضد الوفد .

واضطر الوفد الى تبرير المعاهدة . . فجاءت
تبريراته لتسبب المزيد من المعارضة لنهج الوفد .

ولقد حرص الوفد على أن يستخدم الدراسات القانونية
المتخصصة فى هذا التبرير . فلجأ الى الدكتور محمد

(١) يوزباشى صلاح نصر ، يوزباشى كمال الدين الحناوى ،
الشرق الاوسط فى مهب الزيع (دراسات استراتيجية) — مكتبة
النهضة — الطبعة الاولى (١٩٤٩) ص ٦٤ .

عبد الله العربى ، استاذ القانون العام بكلية 'لحقوق' ،
ليعد دراسة بعنوان : « المعاهدة من الوجهة القانونية
— معاهدة أغسطس ١٩٣٦ تحقق لمصر استقلالها
لتام ، وسيادتها الكاملة » (١) .

وقد أعاد الدكتور العربى طبع هذه السلسلة من
المقالات فى كتاب حرص على أن يثبت على غلافه عبارة
تقول : « التحالف العسكرى والشروط العسكرية
لا يتعارضان مع السيادة الداخلية والسيادة
الخارجية » (٢) .

ثم ينساق الوفديون ليرتكبوا أخطاء فادحة فى دفاعهم
عن المعاهدة ووصل الأمر الى درجة أن أحد كتسابهم
الف كتابا عن المعاهدة تساعل فيه : « كيف نشكو من
وجود طيارات الحليفة تدرا الأذى عن البلاد ، ما دامت
لم تكتمل لدولتنا الناشئة الاسراب الكافية لصد غارات
الدول الغازية المجهزة بآلاف الطيارات . . كيف نشكو
من « ضيافة » عشرة آلاف جندي » (٣) .

لكن خصوم الوفد يستخدمون المعاهدة ودفاع الوفديين
عنها كأداة للهجوم على الوفد والنحاس .

-
- (١) الجهاد — مجموعة اعداد شهر سبتمبر ١٩٣٦ .
(٢) د . محمد عبد الله العربى — المعاهدة من الوجهة القانونية —
مطبعة سكر بمصر .
(٣) عبد الحليم الياس نصر — عهد الاستقلال — مطبعة
عبد الحليم حسن — (١٩٣٦) ص ١ .

ولعل أطرف أسلوب للهجوم هو تلك الحجة التي تبناها بعض معارضي الوفد من ضرورة حل حزب الوفد وانتهاء مهمته إذا ما كانت مصر قد حصلت على استقلالها بالفعل (١) . ذلك أن المادة الرابعة من قانون حزب الوفد تنص على « أن الوفد يقوم ما دام العمل الذي انتدب لأجله قائما وينقضي بانقضائه » (٢) ، وما دامت الدعايات الوفدية تؤكد أن معاهدة ١٩٣٦ هي معاهدة « الشرف والاستقلال » فلا مفر من أن ينهى حزب الوفد وجوده . وسجل فكرى أباطة هذه الفكرة على غلاف المصور في صورة كاريكاتيرية تمثل النحاس باشا وهو يقدم لمصر المعاهدة قائلا « ها قد أمضيت المعاهدة وانتهت مهمتى » (٣) .

وردا على هذه الحجة السخيفة ، يتورط الوفديون في مبالغات شديدة التطرف في مديح النحاس . ويهدى أحدهم كتابه عن المعاهدة « الى محرر مصر . . ومن غير مصطفى النحاس حرر مصر منذ أن غزاها الفرس . ان أربعة وعشرين قرنا لتخر خاشعة بين يدي القائد الموفق ، وعلم الجهاد الخفاق ، ورسول السلام والوفاق ، وبطل سيثيل ، وعميد الوفد ، ورمز الوحدة الوطنية ، وصاحب الرياسات الجليسة ، ومنقذ الدستور ، وبطل الجلاء » (٤) .

(١) آخر ساعة ١٩٣٦/٨/٢٠ .

(٢) قانون حزب الوفد المصرى .

(٣) المصور ١٩٣٦/٨/٢٨ .

(٤) - عهد الحليم الياس نصير المرجع السابق - ص ١ .

وكان لابد لكلمات كهذه أن تثير أشجان ومخاوف الملك ومن حوله . .

كذلك فانه يتعين علينا أن نلاحظ على مسار هذه المرحلة فترات من التهاون مع الانجليز ، وخاصة عندما كانت الوزارة النحاسية معرضة لمؤامرات القصر في عام ١٩٣٧ ، فان النحاس حاول أن يجد لنفسه سندا في دار المندوب السامي التي كانت — في ذلك الحين — حريصة على أن يظل النحاس في الحكم كسبيل لدرء مخاطر قيام حكومة موالية للمحور الذي كان نفوذه قد امتد وعمق جذوره في القصر الملكي عن طريق الثالوث على ماهر — الشيخ المراغى — كامل البندارى .

وتقدم لنا وثائق أرشيف وزارة الخارجية البريطانية ، والمودعة في المتحف البريطانى ، معلومات تؤكد أن النحاس قد أوفد أمين عثمان باشا الى السير مايلز لامبسون طالبا منه التدخل لحماية الوزارة النحاسية . ويكتب لامبسون الى وزير خارجيته قائلا : « وأنه لأمر حيوى لمصلحة كل من مصر وبريطانيا أن نقف بشكل قاطع وراء النحاس باشا ، والا فلن نرى أمامنا الا طريقا لا نهاية له من الفوضى والعلاقات المشدودة » . لكن لامبسون يلاحظ ، فى نفس الرسالة ، ان هذا الموقف « يفترض أننا سوف نكون مستعدين للتعامل بصراحة مع الملك فاروق دون أى اعتبار لما قد يقودنا اليه ذلك ، لأن الملك قد لا يعير نصيحتنا أى اهتمام . وعندئذ فماذا سوف نفعل ؟ » واجابة على هذا السؤال يميل لامبسون اللثام عن اقتراح خطير لأمين عثمان صديق النحاس ورسوله لدى الانجليز أن « أمين عثمان قد

اعترف بأن ذلك سوف يعنى أن نكون مستعدين للمضى
بالأمور الى نهايتها المريعة .

ولم يفت لامبسون أن يختم رسالته الى ايدن قائلا :
« انه يرى من الصعب الى حد كبير التفاوض عن اقتراح
أمين عثمان : فهو رجل صافى الذهن وعملى ودوافعه
ليست محل شك بأى حال . »

كذلك لم يفت سير لامبسون أن يستحسن فكرة خلع
الملك ابقاء على وزارة النحاس ، بل أنه يؤكد أن مثل
هذه الخطوة « قد تكون انتاذا للموقف وهى على المدى
الطويل قد توفر حيرة ومتاعب لا نهاية لها » (١) .

وردا على هذه البرقية الخطيرة يكتب ايدن قائلا :
« اهتممت بفكرة توسيع قاعدة تشكيل الحكومة الوفدية ،
واننى على استعداد لمساندة النحاس اذا وافق على
ذلك ، ولكننى سأكون غير راض الى حد كبير لو اننى
ذهبت الى درجة قبول فكرة خلع الملك فاروق بأى حال
إلا بعد عقد قرانه ، وبعد أن تقل شعبيته الى حد
كبير » (٢) .

بهذا ، فقط ، يمكن أن نفهم سر تساهل النحاس

From Lampson to Eden — November 29, 1937 — (١)
Tel. No. : 679 - F.O. 407/221 — Public Record Of-
fice — London.

From Eden to Lampson — November 30, 1937 — (٢)
Tel. No. : 560 — Public Record — London.

تجاه الانجليز في كثير من الأحيان ، وبه ايضا يمكن ان نفهم حقيقة أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

لقد كان النحاس مخلصا في صراعه ضد الانجليز ، لكنه كان وهو يخوض معركة استمراره في الحكم ضد مناورات السراي ، وهو لا يريد ان يستند على قاعدة الجماهير العريضة وعلى تحركاتها ، لم يكن يجد سبيلا سوى اللعب على حبال التناقض بين الانجليز والقصر .

لكن فترات « التساهل » موقوته باحتياج النحاس لمساندة الانجليز في معركة استمراره في الحكم ضد مؤامرات القصر ، ومرهونة باستعداد الانجليز لتقديم هذا العون .

وما ان تنجح مؤامرات القصر في الاطاحة بوزارة النحاس حتى يجد النحاس نفسه في صفوف المتشددين ضد الانجليز .

لكننا ولكي نكون منصفين ، يتعين علينا الا نستدرج الى مثل هذه التعميمات ، فالنحاس الذي كان يدرك ضعف أسلحته تجاه الانجليز ، والذي كان يعرف انه ليس بإمكان حزبه — بتكوين قيادته المعروف — ان يخوض معركة ثورية ضد الاحتلال ، كان يكمن ، كمادة الفلاح المصري ، لخصمه منتهزا فرصته كي يضرب ..

ويمكن القول بأنه ، برغم كل التهادنات والمساومات تجاه الانجليز ، فان النحاس وحزبه لم يفقدا أبدا خط العداء العام للاحتلال البريطاني لكنه كان يكمن لفترة ثم يتوهج في فترة أخرى .

وعندما كانت بريطانيا تعاني من ضربات النازي والرياح تتجه على عكس ما تريد ، قدر النحاس أنها فرصته ليوجه مطالب جديدة للانجليز ، خصوصا وأنه قد أخذ عليهم عدم مساندته — مساندة جسادة — للاستمرار في الحكم . وهكذا ، وفي أول أبريل ١٩٤٠ فاجأ الوفد الجميع بتقديم مذكرة شديدة اللهجة للسلطات البريطانية اتهمها فيها بأنها « باركت الانقلاب الدستوري واستغفلته لصالحها رغم أحكام المعاهدة في نصها وروحها » وقالت المذكرة « ان هذا الموقف البريطاني يعطى لصر الحق في أن تطلب من الحليفة أن تحدد موقفها منها وأن تقوم بنفس النصيب الذي تقوم به من المحالفة وتنفيذها وأن تقدر لصر ، الدولة الصغيرة ، ما حملته وتحمله عن حليفتها الكبيرة من أعباء الحرب » .

ثم طلب الوفد من الحكومة البريطانية الاستجابة للمطالب الآتية التي قررها وقررتها هيئة البرلمانية وهي :

١ — أن تصرح — من الآن — بجلاء القسوات البريطانية عن مصر ، بعد انتهاء الحرب وعقد مؤتمر الصلح . وتبقى المحالفة فيما عدا ذلك قائمة بين الطرفين بالأوضاع المبينة فيها .

٢ — اشترك مصر اشتركا فعليا في مفاوضات الصلح للدفاع عن مصالحها والعمل على تحقيق أغراضها معنوية كانت أو مادية .

٣ - الدخول في مفاوضات مع مصر بعد انتهاء مفاوضات الصلح يعترف فيها بحقوق مصر كاملة في السودان لمصلحة أبناء وادي النيل جميعا .

٤ - التنازل عن الأحكام العرفية التي أعلنت بنسأ على طلبها ، واطار الحكومة المصرية بهذا التنازل .

٥ - حل مشكلة القطن بعدم الحيلولة دون تصديره الى البلاد المحايدة أو بشرائه بالأسعار والشروط المناسبة .

ثم تناولت المذكرة ، بعد ذلك بالتفصيل ، المطالب الخاص بالأحكام العرفية . فقالت : ان بقاءها يفسح المجال لاستغلالها من الحكومة القائمة ضد ارادة الشعب ، فضلا عن أن انجلترا نفسها لم تعلن الأحكام العرفية لا في بلادها ، ولا في مستعمراتها رغم اشتراكها في حرب لا تزال مصر بعيدة عنها . ومن ثم فلا معنى اذا لتنفيذ المعاهدة في ظل الأحكام العرفية التي لا ضابط لها ، كما هي مفروضة على مصر ، ولا معنى لأن تمتد الرقابة على الأخبار العسكرية الى رقابة على كل الشئون المصرية « حتى أصبح المصريون في عهد الاستقلال ، وكأنهم آلة عمياء صماء لا يسمع لهم صوت في تصريف شئون بلادهم » .

ثم تعرضت المذكرة لمسألة القطن فصورت الاحوال الاقتصادية في داخل البلاد تصويرا خطيرا وأعلنت أنها قد تطورت تطورا سريعا الى « خراب شامل في الاموال العامة والخاصة ، وتدهورت الثروة الأهلية الى مادون الحضيض » .

وقد أحدثت هذه المذكرة ردود فعل واسعة . . فقد أعربت وزارة الخارجية البريطانية عن انزعاجها الشديد ووجهت برقية عاجلة الى دار مندوبها السامي بالقاهرة تقول : « ابلغوا النحاس باشا في الحال أن الحركة التي قام بها ونشرت على الناس فعلا قد أحدثت لدى الحكومة البريطانية شعورا اليها للغاية » (١) .

أما على ماهر ، فقد وصف المذكرة بأفحش النعوت ، وتحدث عنها في مجلس الشيوخ قائلا : أنها « خروج على الدستور وخروج على قوانين البلاد ، وخروج على النظم القائمة ، هي خروج على العرش ، خروج على الحكومة ، وعلى البرلمان » .

وحاول على ماهر — كالعادة — أن يتفادى مناقشة مضمون المذكرة ليركز على الشكل متسائلا : « كيف يسمح فريق لنفسه بأن يتقدم لدولة أجنبية وأن يدعى أنه يتكلم باسم الأمة ؟ بأي وجه يدافع هؤلاء الناس عن تصرفهم في تقديم هذه الأوراق التي تقدموا فيها بشكواهم للسفير البريطاني قائلين أنهم هم الذين يمثلون الشعب ، وأن الحكومة لا تمثله ؟ أوكد لحضراتكم أن هذا هو أشنع صور الازدراء بالاستقلال » (٢) .

بينما أكد عبد الرحمن الرافعي (الحزب الوطني) أن هذه المذكرة « قد أحدثت في البلاد رجسة لأنها كانت

(١) د. عبدالعظيم رمضان . المرجع السابق — الجزء الثاني ص ٥١

(٢) مجلس الشيوخ . مجموعة مضابط دور الاعتقاد العادي

الخامس عشر . مضبطة جلسة يوم ٣٠ أبريل ١٩٤٠ ص ٥٨٩ .

أول صيحة بالخروج على معاهدة ١٩٣٦ من إحدى الهيئات التي وقعتها ، ومن الهيئة التي اعتزت بها وروجت لها وحثت الناس على قبولها .

وكتب عبد القادر حمزة مقالا لجريدة البلاغ يقول فيه : « ان ما مات مصر بين سنتي ١٩١٤ و ١٩١٨ قد استدركه الوفد في المذكرة التي تقدم بها للسفير البريطاني » ولكن الرقابة منعت نشر المقال (١) .

وانهال سيل من البرقيات على « النحاس » يؤيد وقفته ضد الانجليز . . الذي صمم على تصعيد معارضته للانجليز ، برغم حرج الموقف ، وبرغم اتهام خصومه له بأنه بمعركته هذه انما يخرج . . « على العرش وعلى الحكومة وعلى البرلمان » .

وتستمر المطارق الوفدية لتهدى ضد سياسة الاحتلال . .

وفي مجلس النواب ، وقف محمود سليمان غنام ليدين تغفل القوات البريطانية في الأحياء الأهلة بالسكان ، الأمر الذي يعرض سكان هذه الأحياء للغارات الوحشية من طائرات المحور . وقال : ان هذه القوات قد تغفلت « تغفلا واضحا في جميع الأحياء الوطنية الأهلة بالسكان والمدارس والشوارع والفنادق الوطنية ، بل

(١) المرجع السابق — خطاب يوسف الجندي — ص ٥٨١ و ٥٨٢ من المضبطة .

أبرىء ذمتى وأقول ان بعض هذه القوات مرابط الآن في مبنى على قيد أمتار من مسجد كبير في القاهرة . تصوروا حضراتكم مدى هذا الخطر اذا ما وقعت الواقعة ، فان الألمان سيقولون أننا لا نقصد المصريين ، ولكننا نقصد الأهداف العسكرية « (١) » .

وفي مجلس الشيوخ ، وقف يوسف الجندى ليهاجم السياسة الاقتصادية لبريطانيا تجاه مصر والتي اتسمت بالاستنزاف لكل ثرواتها ، وحرمانها من بيع قطنها للدول المحاربة والمحايدة ، ومن ثم ، فقد فرضت نفسها كمشتتر وحيد للقطن المصرى ، وفرضت في نفس الوقت سعرا للقطن يقل كثيرا جدا عن سعره العالمى . وقال ان الانجليز « لا يتأثرون الا بمصلحتهم ومصلحتهم وحدها ، وكان يجب أن نفهم هذا . . . وألا نكرر عبارات الاستجداء بغير موجب » . ومضى يوسف الجندى قائلاً : ان سياسة بريطانيا تجاه القطن المصرى لا تستهدف تحقيق المصلحة الانجليزية فحسب وانما هي تقوم أيضا « على سياسة افقار الشعوب المحكومة . وأنى آسف أن أقول هذا ، ولكنها هي الحقيقة التي وردت على لسان الكثيرين من السياسة الرسميين » (٢) .

ومن الطريف ، أن الانجليز قد لجأوا الى حجة غريبة للدفاع عن موقفهم من فرض سعر مخفض للقطن المصرى

(١) مجلس النواب — مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى الرابع ١٩٤٠ — ١٩٤١ — الجزء الثانى ص ١٤٥٩ .

(٢) مجلس الشيوخ . مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى السادس عشر ١٩٤٠ — ١٩٤١ جلسة ٨ سبتمبر ١٩٤١ .

فقال أحدى الصحف الناطقة باسمهم فى مصر وهى « الاجيبيشيان ميل » « بأن رفع السعر لا يفيد سوى طائفة الباشوات ، أما الزارع المتوسط والصغير ، وأما المستأجرون ، فلا يعود عليهم رفع السعر الا بالخسارة والجوع » .

وردا على هذه الحجة كتبت جريدة « الوفد المصرى » مهاجمة الانجليز لأنهم يحاولون « التفرقة بين الطبقات فى مصر وقالت : « لمصلحة من يريدون بذر بذور الشقاق بين هذه الطبقات ، واحداث مشكلة اجتماعية من أعقد المشكلات التى أقلت بال أمم كثيرة ، ومصر بقيت ناجية منها الى الآن بفضل الله » (١) .

ثم يتقدم « مصطفى النحاس » بنفسه الى ميدان المعركة ، حيث « دبرت » له حفلة تكريم فى رأس البر كمبرر لاتاحة الفرصة لالقاء خطاب نارى ضد الانجليز وضد معاهدة ١٩٣٦ التى وصفها بأنها « أصبحت بعد عام واحد من تنفيذها غنما للانجليز وغرما على المصريين » وقال ان سوء النية فى تنفيذها قد بدا جليا للعيان ، وأن الأمر « يستدعى اعادة النظر فى المعاهدة لجعل نصوصها متفقة مع روحها » . وقال : « نصرنا الحليفة بكل صدق واخلاص فماذا كان جزاؤنا ؟ كان أن أهدرت كرامتنا ، وفقدت حريتنا ، وأعلنت الأحكام العرفية علينا وكهنت أفواهنا ، وتحكمت لرقابة فينا ، وعسدت أنفاسنا علينا وكسدت سوقنا ، وارتفعت أسعار المعيشة ،

(١) الوفد المصرى — ٢٣/٨/١٩٤١ .

وانخفض سعر نقدنا ، وسسخرت قواتنا ومرافقنا
ومصالحنا لصالح الانجليز ، ولم نجن من وراء ذلك كله
شيئا ، بل لقد تدخل الانجليز في شئوننا ، وتغلغلوا في
جميع مرافقنا ، ولم يراع في توزيع القوات صيانة ارواح
المدنيين مع تحقيق الأهداف العسكرية ، فأصبحت البلاد
كلها هدفا لكل غارة ، حتى فقد المدنيون كل طمأنينة
وراحة وسلام .

ثم قال : « يؤسفنى أن أصرح بأن الانجليز الذين
يحاربون دفاعا عن الديمقراطية في بلادهم يدأبون على
العمل ضد الديمقراطية في مصر . ولا ريب أنه إذا لم تكن
الديمقراطية واحدة في كل البلاد التى تناصرها فليست
اذن هى فكرة يدافع عنها ، ومبدأ يناضل من أجله ،
بل تكون هى والديكتاتورية سواء » (١) .

ومن حق النحاس عينا أن نقرر له أنه لم يلجا الى
مثل هذا الهجوم العنيف عندما كان في صفوف المعارضة
فحسب ، بل لقد عاود التأكيد أكثر من مرة ، وبعد
أن تولى الحكم — عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ — على
ضرورة العمل لتعديل المعاهدة . وفي المؤتمر الوفدى
الكبير الذى عقد في نوفمبر ١٩٤٣ راح النحاس يعدد
ما قدمته مصر لبريطانيا من مساعدات ، وما أدته من
خدمات تنفيذا للمعاهدة . ثم قال : « ان حوادث الحرب
قد غيرت الموقف تغيرا كبيرا حتى أصبح هذا التعديل
ضرورة لا بد منها ، ونتيجة لا ريب فيها . . وأنى الآن أكاد

(١) المصرى ١٩٤١/٨/٤ .

المح باذن الله فجر اليوم الذى تأخذ فيه مصر المستقلة
استقلالاً تاماً لا تشوبه أية شائبة» (١) .

ثم عاد ، وهو رئيس للوزراء أيضاً ، وفى خطاب له
أمام البرلمان القاه فى ٢٨ سبتمبر ١٩٤٣ ليؤكد تمسكه
بمذكرة أول ابريل ١٩٤٠ ، ووصفها بأنها « بكل مطلب
من المطالب القومية المدونة بها . . وفى مقدمتها الجلاء
والسودان ، هى فخرنا ، وهذه المطالب الوطنية التى
كان لنا شرف المناداة بها ونحن خارج الحكم فى سنة
١٩٤٠ ، لا تزال ولن تزال مطالبنا نعمل لها جهد
امكاننا . . » ثم مضى النحاس قائلاً : « والحكومة
البريطانية الحليفة تعلم حق العلم مقدار تمسك الوفد
بمطالب مصر الوطنية ومبلغ تصميمه عليها » . ثم عاد
النحاس ليؤكد موقفه هذا أمام مجلس النواب أيضاً فى
جلسة ١٢ يناير ١٩٤٤ (٢) .

ولم تكن هذه المواقف هى المظاهر الوحيدة للصدام
بين « النحاس » والاحتلال البريطانى . . بل ان النحاس
قد حرص ، ومنذ توليه الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، على
انتهاج مواقف متشددة تجاه الانجليز ، حتى فى المسائل
التفصيلية والتى كان يمكن التغلب عنها مؤقتاً .

(١) المؤتمر الوفدى — مستقبل مصر كما رسمه الزعيم مصطفى
النحاس واقتطاب الوفد المصرى فى نوفمبر ١٩٤٣ (عدد خاص
أصدرته جريدة الحوادث) ص ٤ .

(٢) مجلس النواب . الهيئة النيابية الثامنة . مجموعة مضابط
الانعقاد العادى الثالث . المجلد الاول عام ٤٣ — ١٩٤٤ . جلسة
١٢ يناير ١٩٤٤ .

فبعد شهر واحد ، أى فى ٥ مارس ١٩٤٢ ، أمر النحاس — ودون التشاور مع الانجليز — بالافراج عن عزيز المصرى باشا وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف ، برغم خصومتهم الواضحة للوفد ، وبرغم علمه بتصميم الانجليز على ابقائهم بالسجن لأطول فترة ممكنة ، ولم يكتف النحاس بذلك بل أمر بشطب القضية أيضا .

ولعله من المفيد ان نروى هنا واقعة توضح لنا الأسلوب الذى اعتمدته النحاس للتعامل مع سلطات الاحتلال . . صاحبة النفوذ الأساسى فى البلاد فى ذلك الحين .

كان المجاهد الفلسطينى محمد على الطاهر صاحب جريدة الشورى قد اعتقل بأمر الانجليز فى عهد وزارة حسن باشا صبرى ، ثم هرب من المعتقل ، الأمر الذى أثار الكثير من مخاوف الانجليز والحواء فى ضرورة ضبطه وايداعه المعتقل ، لكن محمد على الطاهر سلم نفسه للنحاس فى ٧ مارس ١٩٤٢ ، وأمر النحاس — وعلى الفور — بالافراج عنه . . ويروى محمد على الطاهر ، انه سمع النحاس يقول لأمين عثمان باشا : « قل للانجليز انى أطلقت سراح الطاهر فعلا ، وسيخرج من عندى حرا . . وأن اعترض الانجليز على ذلك ، فقل لهم ألا يفتحوا لى هذه السيرة . فأننا قد أطلقته وانتهى الأمر » (١) .

(١) محمد على الطاهر — ظلام السجن ، مذكرات ومفكرات — مطبعة عيسى البابى الحلبي ١٩٥١ — ص ٤٩٤ . .

وليس من شك في أن الانجليز لم يكونوا — مطلقا — سعداء بهذا النوع من التعامل ، وهم الذين اعتادوا على خنوع رؤساء وزارات الأقليات . . من أمثال توفيق نسيم وغيره . .

فاذا أضفنا الى ذلك — ما أسلفنا الإشارة اليه — من تشدد النحاس تجاه المطالب الوطنية ، واصراره على مذكرة ابريل ١٩٤٠ ، وعلى ضرورة تعديل المعاهدة — لأدركنا السبب في أن الانجليز الذين دبروا حادث { فبراير سرعان ما اكتشفوا أن عليهم أن يطيحوا ، وبالقوة بالرجل الذي فرضوه قبل عامين وبالقوة أيضا .



٢ — الملك ييكي من النحاس . . !

ذات يوم كتب دافيد كيلى في مذكراته « لقد أسر لى صديقى حسنين باشا يوما بأن المسلك فاروق كان ييكي من الاهانة حينما كان يلعب في الصحف اهتماما بالنحاس اكثر من الاهتمام بشخص الملك » (١) .

والحقيقة أن النحاس قد انتهج وبحسم سياسة تقليد أظافر « القصر الملكى » وابتعاد نفوذه عن الحياة السياسية في البلاد . .

(١) محمد عودة — المرجع السابق ص ١٥٤ .

والنحاس ، كهاجم ، يفضل الهجوم المباغت ، ولا يترك لخصمه أية لحظة لالتقاط الأنفاس ، ولقد شاهدنا كيف اصطدم بالملك فؤاد في الأسبوع الأول لتوليّه رئاسة حزب الوفد ، وكيف أجبره إجباراً على عدم الاحتفال بعيد جلوسه . . وكما باغت النحاس فؤاداً بالهجوم ، باغت أيضاً فاروقاً — حتى قبل أن يتولى العرش ، وحاول أن يقلم أظافره ثم يضعه على العرش مجرداً من كل سلطة . .

وانتهز النحاس فرصة عهد الوصاية على العرش فأصدر القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٧ ، والخاص بإنشاء مجلس الدفاع الأعلى ، وفي هذا القانون جرد النحاس الملك من كل سلطاته الإشرافية على الجيش ومنحها لرئيس الوزراء ، وألغى صراحة منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة ، وهو المنصب الذي يتولاه الملك عادة (١) .

وقد تعجل مصطفى النحاس إصدار هذا القانون ، بحيث صدر بعد أن تولى فاروق العرش بيومين فقط . وقد فهم رجال السراى المغزى المقصود من هذا الهجوم . وكتب أحدهم تقريراً رفعه إلى الملك جاء فيه أن هذا القانون « يدعو للتساؤل ويشير ظلالاً من الشك حول الغرض الأسمى من إنشاء مجلس الدفاع الأعلى » (٢) .

(١) القانون ٧٢ لسنة ١٩٣٧ بشأن إنشاء مجلس الدفاع الأعلى .

(٢) وثيقة معنونة — الحكومة المصرية رقم ٦١٣٣ — تقارير

الحكومة ٢ — الجيش — بحث في مجالس الجيش وهيئة أركانه — مودعه بمكتبه رئاسة الجمهورية .

وقبل أن يتولى الملك العرش ، وخلال احتفالات توليته
وقف النحاس معترضاً على اقتراح الأمير محمد على ولى
العهد باقامة حفل دينى ضمن مراسيم تولية الملك .

والحقيقة ، أن هذا الاقتراح لم يكن سوى جزء من
مخطط متكامل أعده الشيخ المراهى ، يستهدف تقديم
« الملك الشاب المسلح بسلاح الدين » كسلاح وحييد
لقيامه جماهيرية النحاس المسلح بحب الجماهير
الشعبية .

ولقد اتضحت أبعاد هذا المخطط ، فيما بعد ، عندما
خرجت جموع الوفدين تتحدى الملك هاتفة « الشعب
مع النحاس » . فسير الشيخ المراهى مظاهرات من
الأزهريين والايوان المسلمين تهتف « الله مع الملك » .

المهم ، أن النحاس اعترض على اقتراح اقامة حفل
دينى ، وقال ان ذلك « اقحام للدين فيما ليس من شأنه
وايجاد سلطة دينية خاصة بجانب السلطة المدنية » .

وقد أعلن النحاس عن رفضه هذا فى خطاب مليء
بالتحدى القاه أمام مجلس النواب قال فيه : « الاسلام
لا يعرف سلطة روحية ، وليس بعد الرسل وسياسة
بين الله وبين عباده . . وليس أحرص منى ، ولا من
الحكومة التى أتشرف برئاستها ، على احترام الاسلام
وتنزيه الاسلام ، كما أنه ليس أحرص منا على الالتزام
بأحكام الدستور . ولكن الاحتفال بمباشرة جلالة الملك

لسلطته الدستورية شيء آخر ، فهو مجال وطنى يجب أن يتبارى فيه سائر المصريين مسلمين وغير مسلمين» (١) .

وتحديا للنحاس ، وبترتيب خاص من رجال القصر ، سير حسن البنا مظاهرات من الإخوان المسلمين اتجهت الى قصر عابدين « لتبايع الملك على كتاب الله وسنة رسوله » (٢) .

ولقد ظل « الملك » — طوال حياته — متعلقا بفكرة أن تمسحه بالدين هي السبيل الوحيد لكسب جماهيرية وشعبية في مجابهة معارضة النحاس والقوى الوطنية والتقدمية الأخرى . وأخيرا نجح رجال القصر ، في تشكيل لجنة تضم الشيخ البيلاوى ورئيس التشريفات وحسن باشا يوسف وكريم ثابت باشا (٣) ، وكانت مهمتها اثبات امتداد نسب فاروق الى الأسرة النبوية لكن هذه الخطوة جاءت متأخرة ، وبعد أن كان نفوذ القصر قد اضمحل تماما ، وبحيث لم يكن لها من رد فعل لدى الجماهير الشعبية سوى السخرية والاشمئزاز .

ولقد ظلت المعارك سجالا بين النحاس والملك . .

ووصل الأمر الى درجة أن النحاس اعترض على حق الملك في تعيين مهندس كهربائى بالقصر دون استئذان

(١) المصرى — ١٩٣٧/٢/٢٢ .

(٢) حسن البنا — مذكرات الدعوة والداعية — ص ٢٥١ .

(٣) محاكمات الثورة — الكتاب الرابع — محاكمة كريم ثابت —

شهادة حائظ عفيفى ص ٦٧٢ .

الوزارة . . وتصاعد الصدام حتى وجه الملك خطاب
اقالة مهينا للنحاس ، كان الأول من نوعه في تاريخ الحياة
الدستورية المصرية ، فقد جاء في الخطاب « نظرا لما
تجمع لدينا من الأدلة على أن شعبنا لم يعد يؤيد طريقة
الوزارة في الحكم ، وأنه يأخذ عنها مجافاتها لروح
الدستور ، وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها
لم يكن هناك بد من اقالتها » . وتخرج الجماهير لتتحدى
الاقالة هاتفة « النحاس أو الثورة » ، « لا استقالة
ولا اقالة » و « الدستور فوق الجميع » .

وتكون اول مظاهرات جماهيرية تتحدى الملك صراحة
وتطعن فيه . .

لكن شيئا هاما يتعين علينا ان نتذكره ، هو أن الوفد
لم يستطع أن يجابه هذه الخطوة الوقحة من جانب
القصر مجابهة فعلية لسبب بسيط وهو أن القصر كان
قد استعد لها بتدبير انقسام مؤلم في صفوف الوفدية .
وكان « محمود فهمى النقراشي » استاذ التنظيم ، بدلا
من أن ينظم الجماهير الوفدية في تمردا على الملك ،
قابعاً في صفوف القصر « محركا » المؤامرات ضد
الوفد وضد النحاس .

والحقيقة أنه كانت هناك « صفقة » عرضها الانجليز
على النحاس لانقاذ وزارته من الاقالة . وقد أفصح سير
مايلز لامبسون عن هذه « الصفقة » في برقية وجهها
الى وزير الخارجية البريطانية في ٢٩ نوفمبر ١٩٣٧ جاء
فيها : « على أننا يجب علينا أن نجعل تأييدنا مشروطا
بتخليه عن سياسة الاحتكار فيضم اليه العناصر الصالحة

مثل عبد الوهاب (في شركة قناة السويس) وعلى
الشمسي (لوزارة الخارجية) وأحمد ماهر (للحربية) .

كان هذا هو الثمن المطلوب من النحاس كي يبقى
رئيسا للوزراء . ويؤكد لامبسون أنه عرض الأمر على
أمين عثمان ، وهو يقول لوزير خارجيته أنه في مقابل
ذلك سيتعين مساندة النحاس ، لكن ذلك قد يعنى « أن
نكون مستعدين للمضى بالأمور الى نهايتها المرة ؟ أن
ذلك يعنى استخدام القوة ، بل انه قد يعنى خلع الملك
عن العرش » (١) .

والسؤال الذى قد يحير القارئ والباحث معا هو
لماذا كان الانجليز على استعداد كي يمضوا بالأمور الى
نهايتها المرة مع الملك مقابل هذا الثمن ؟ ولماذا رفض
النحاس أن يقبل الصفقة ؟ .

الجواب على السؤالين معا هو أن « الصفقة » لم
تكن تعنى اضافة بضعة وزراء موالين للانجليز بقدر
ما كانت تعنى محاولة تغيير الطابع العام للقيادة الوفدية
وللوزارة الحاكمة باسمها بحيث تصبح — بشكل عام —
أكثر طواعية في يد الانجليز .

ورفض النحاس الصفقة . . وفضل أن يخوض
المعركة ضد القصر بأسلوبه هو . .

(١) From Lampson to Eden, November 29, 1937 —
Tel. No. 679 Public Record Office (London) F.O.
407/221.

وينتھز الملك فرصة اقالة النحاس ، وتخلی الانجليز عن مساندته ، بعد رفضه للصفقة ، ليحاول ان يرتب في هدوء ، نوعا من الانقلاب الدستوري يستجمع بموجبه كل السلطات في يديه . ويدهش أعضاء مجلس الشيوخ الذين قابلوا الملك لرفع رد المجلس على خطاب العرش عندما يقول الملك لهم : « ليس يكفي رضاء الأمة عنكم ، بل يجب ان يكون معسه رضاء الملك كذلك » (١) . ثم لم يلبث الملك ان أشهر هذا الانقلاب الدستوري في خطاب وجهه بالراديو ، واختار له — عن عمد — ذكرى العيد الهجرى ، معلنا توليسه لزام كل الامور قائلا : « ان ثقتى بنفسى وتوكلى على الله هو الذى يلهمنى تصرف الامور ويوجهنى الوجهة الصحيحة » (٢) .

لكن النحاس لا يسكت ، فيدعو الهيئة الوفدية الى اجتماع طارىء لتصدر بيانا عنيفا تقول فيه : « ان الدستور والنظام الديمقراطي في مصر قد أصبحا في خطر ، وان الهيئة الوفدية ترى ان واجبها ان تعلن انها لا تقبل بحال من الأحوال أى مساس بالدستور والحريات » (٣) .

ولقد ظل « الملك » على اصراره دوما على تجنب تولية النحاس رئاسة الوزارة . وحتى عندما تدهور الوضع في عام ١٩٤٠ ، وأمسك الانجليز بسلسلة من

(١) المصرى ١٩٣٨/٧/١ .

(٢) مصر الفتاة — ١٩٣٩/٢/٢٣ .

(٣) مصر الفتاة ١٩٣٩/٢/٢٧ .

الأدلة توحى بعلاقة وزارة على ماهر بالمحور ، وأصروا على اقالته واستبداله بالنحاس ، لجأ أحمد حسنين الى حيلة مأكرة . . يرويها بنفسه لمحمد التابعى قائلا : « رأيت أن نقوم بمنسورة تمويه وتضليل . . فطلبت من الملك أن يوفد عبد الوهاب طلعت (وكيل الديوان الملكى) لمقابلة النحاس باشا فى كفر عثما لى ألفت أنظار السفارة وعيونها الى كفر عثما وأصرفها عما يجرى فى القاهرة . وهكذا ، وبينما كان عبد الوهاب طلعت فى كفر عثما ، كنت أنا قد اتصلت بحسن صبرى وأعضاء وزارته وأعددت المراسم بتشكيل الوزارة . . وكان حسن صبرى صديقا للسفير وللانجليز وقد اخترناه لهذا السبب كسر الحدة التحدى (١) .

ويعترف لا مبدسون ، فى برقيه وجهها الى لندن ، بان القصر قد خدعه . لكنه يشير فى برقيته الى أن « حسن صبرى باشا ووزارته المؤلفة من السعديين والأحرار والمستقلين مكونة من اشتهر معظمهم بالميل اليسارى » (٢) .

وتستمر المعركة ، ويستمر النحاس فى تصميمه على الهجوم . .

ويروى مصطفى أمين — ساعيا للوقية كعادته — « فى الأسبوع الأخير من شهر يوليو سنة ١٩٤٢ كتبت

(١) محمد التابعى — من أسرار السياسة والساسة ، مصر ما قبل الثورة — مطابع دار القلم — القاهرة ص ١٨٦ .
(٢) From Lampson to Halix — October 8, 1940, No. 938.

مقالا في مجله الاثني احي فيه حضرة صاحب الجلالة الملك . ، بمناسبة ذكرى توليه سلطته الدستورية . وكان المقال عاديا ، وصفت فيه شعورى نحو ملك البلاد وهو شعور كل مصرى . وكان طبيعيا ان يجيز الرقيب المقال ، فليس فيه انتقاد للوزارة ، وليس فيه مديح لخصم من خصوم الوزارة ، وليس فيه مهاجمة لنائب وفدى . وليس فيه شكوى من التموين أو المطالبة بالجلاء ، وهذه كلها كانت ممنوعات لا تجيز الرقابة نشرها بأمر من صاحب المقام الرفيع النحاس باشا الحاكم العسكرى .

ولكنى دهشت عندما طلب رقيب المجلة عرض المقال على مدير الرقابة . وعندما حمل الاستاذ الشافعى البنا رقيب المجلات الاسبوعية مقالى الى رفعة الحاكم العسكرى ليعرضه عليه هائنى بعد ذلك ان علمت ان رفعته امر بان يعرض عليه شخصيا كل ما اكتبه عن جلاله الملك .

وفي اليوم التالى ، حضر الاستاذ الشافعى البنا يحمل المقال ويقول ان رفعة النحاس باشا امضى الليل كله فى حذف وتعديل المقال . ورأيت المقال فاذا باغلبه محذوف بخط صاحب المقام الرفيع ، حذف رفعة الحاكم العسكرى قولى ان الملك فتح قصره لكل الأحزاب وكل الزعماء فليس للملك حزب لأن مصر كلها حزبه ، وليس له رجال لأن المصريين كلهم رجاله .

وحذف رفعة الحاكم العسكرى كل كلمة فيها اشادة بالملك ، او اضاف اليها وحكومة جلالته ، ... وحذف

الحاكم العسكري أن الملك فاروق « ملك دستوري لا يرضى بالدستور بديلا ، وأن الدستور لم يعطسل في عهده يوما واحدا » . . « ولم أصدق أن صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا تبلغ به الجرأة ويبلغ به الاستهتار — ولا أقول كلمة أخرى — فيحذف بيده التحية الموجهة الى ملك البلاد » (١) .

وليس من شك في أن موقفنا كهذا ، من جانب النحاس كان يعبر عن شجاعة منقطعة النظير ، وإصرار لا يكل على مجابهة الملك ومعارضة نفوذه . .

ولقد بادل الملك النحاس نفس الشعور . . فعمل جهده على إضعاف نفوذه وعلى الكيد له .

ولم تكن « أخبار اليوم » ومدرستها الصحفية سوى محاولة من السراى لاستخدام أساليب الدعاية الحديثة في خداع الراى العام ومحاولة صرفه بعيدا عن نطاق النفوذ الوفدى .

ولم تكن الانقسامات التى دبرها « القصر » فى صفوف الوفد ، سواء انقسام النقراشى — أحمد ماهر ، أو انقسام مكرم عبيد ، سوى حلقات فى نفس المخطط . .

كذلك كان الكتاب الأسود . .

(١) أخبار اليوم — ١٩٤٤/١٢/٤ (نقلا عن : صلاح نصر — عملاء الخيانة وحديث الافك — الوطن العربى — بيروت — ص ١٠)

ويعترف أحد خصوم النحاس بالحقيقة قائلا : « كانت شهرة النحاس باشا قائمة في نفس الجمهور الى يومئذ على أنه رجل نزيه ، طاهر اليد ، وأنه ظل فقيرا لم يفد من 'لحكم شيئا' (١) .

وهكذا ، كان الكتاب الأسود ضروريا لمحاولة تشويه سمعة « الزعيم » الذي اشتهر بالنزاهة وطهار اليد .

والحقيقة أن صانعي « الكتاب الأسود » أنفسهم قد اعترفوا بدور السراى في اعداده واصداره . و يعترف جلال الدين الحامصى الذى قال عن نفسه : « لقد اشتركت في وضع الكتاب الأسود وطبعه وتوزيعه » (٢) يعترف دون خجل . وبصراحة غريبة : « خان الملك فاروق متحمسا لفكرة الكتاب الأسود تحمسا كبيرا ، وكان يتابع أنباء اعداده ويسأل عما تم طبعه ، وعن الاحتياطات التى اتخذت لمنع الحاكم العسكرى من افساد هذه الخطة ، بل انه قبل أن تودع صورة الكتاب وملحقاته من الوثائق في احدى خزائن سراى صابدين الى أن يحدد موعد تقديمه اليه واذاعته على الناس » (٣) .

وهكذا تستمر المعركة سجالا . . ويجد الملك فرصة اخرى لاقالة النحاس . .

(١) د. محمد حسين هيكل — مذكرات في السياسة المصرية — ج ٢ — ص ٢٧٦ .
(٢) جلال الدين الحامصى — معركة نزاهة الحكم ، فبراير ١٩٤٢ ، يوليو ١٩٥٢ ، دار الكاتب العربى (١٩٥٧) ص ٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٠ .

ويستمر النحاس زعيم الاغلبية مبعدا عن الوزارة حتى تجرى انتخابات ١٩٥٠ — فيكتسح الوفد كل خصومه ليفوز بأغلبية ساحقة في مجلس النواب . . واسقط في يد الملك ولكن لم يكن هناك مفر من قبول وزارة النحاس مرة أخرى .

ويعترف كريم ثابت باشا ، وكان واحدا من اقرب المقربين من الملك ، أمام محكمة الثورة بأن الملك « قبل النحاس على مضض ، لأنه مكانش عايزه ، ولكن النحاس معاه الاغلبية ، ومش ممكن ما يجيش ، لأن معنى كده ان الانتخابات كانت استفتاء ضد الملك ، فهو قبل النحاس على مضض لأنه كان بيسمع أن النحاس حايجي يقلل من سلطته » (١) .

أما حسين سري باشا فيعترف في شهادته ، أمام نفس المحكمة ، بأن الملك ذعر من نتيجة الانتخابات ، ومن مجيء النحاس وقال : « الملك السابق كان يعتقد أن مجيء الوفد الحكم حيبقى صعب عليه ، وحتبقى تحصل مشادات بينه وبين رجاله ، فطلب منى أن أكون رئيس ديوان : وقال لى : أنت السبب لأنك فى الانتخابات اللي عملتها كنت رئيس حكومة رجعت الاغلبية الوفدية ، ودول حايجوا يعاكسونى ، فأنا عاوزك تيجى رئيس ديوان علشان تتقبل الصدمات » (٢) .

(١) محاكمات الثورة (الكتاب الرابع) اعداد كمال كير — صدر عن مكتب شئون محكمة الثورة المضبطة الرسمية لحاضر جلسات محكمة الثورة (محاكمة كريم ثابت) . ص ٦٩٧ .
(٢) المرجع السابق — ص ٦٥٤ .

لكن المشاكل بدأت منذ البداية الأولى . . وتفجر الخلاف قبل تشكيل الوزارة ، عندما صمم الملك على أن يبقى محمد حيدر باشا وزيرا للحربية ، وكان حيدر قد احتفظ بهذا المنصب في ثلاث وزارات متعاقبة النقراشي ، ابراهيم عبد الهادي ، حسين سري ، ليكون عينا للملك على مجلس الوزراء ، وليكون أداة لفرض سيطرة السراي الكاملة على الجيش ، وكان حيدر هو الذي ترك الجيش الى حرب فلسطين دون انتظار لأوامر رئيس الوزراء . لكن النحاس رفض ذلك رفضا باتا وأصر على تعيين وزير وفدى هو مصطفى نصرت (١) .

واذا كان هذا الخلاف قد أمكن تسويته بأن انتهى منصب جديد هو منصب القائد العام للقوات المسلحة يتولاه حيدر بينما أصبح مصطفى نصرت وزيرا للحربية فان خلافا آخر حول تشكيل الوزارة قد نشب واتخذ فيه النحاس موقفا متشددا وصارما أجبر به الملك على التراجع .

وكان الخلاف هذه المرة حول طه حسين ، ويروى هذه القصة حسين سري باشا في شهادته أمام محكمة الثورة (أثناء محاكمة كريم ثابت) فيقول : « لما طلب من النحاس تأليف الوزارة عرض على بعض الأسماء ، وكان من بينهم طه حسين ، بعضهم استبعدته بموافقة النحاس ، وقلت للنحاس بلاش طه حسين لأنهم في

(١) أحمد حمروش — قصة ثورة ٢٣ يوليو — الجزء الاول — مصر والعسكريون . (المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت (ديسمبر ١٩٧٤) ص ١٤٣ .

السراى بيقولوا عنه انه افكاره يسارية فقال : ده اهيهم ،
فقلت له : انت متشدد فيه ؟ فرد على بان ده اهم واحد
عندى انشالله تشطب السكل انا مستعد اتنازل عن كل
الوزراء ما عدا طه حسين . فقلت للملك ادى الكشف
واللى بيتشدد فيه النحاس قوى طه حسين ، فقال
مستحيل ، ده راجل افكاره يسارية قل للنحاس انى
مش عاوزه . ولكن النحاس زى ما قلت قال انه مستعد
ان يتنازل عن كل الوزراء الا طه حسين « (١) » .

وكان النحاس مصمما على ان يستمر فى تلقين المزيد
من الدروس للملك ومصمما على الاستمرار فى تحديه .



٣ — ضد الفاشست ، والاتجار بالدين . .

رأينا كيف أن محور على ماهر — المراغى — البندارى
كان يبذل جهده لايجاد بدائل شعبية تستقطب بعض
الجماهير بعيدا عن الوفد . .

وكيف أن الشيخ المراغى حاول أن يقدم « الدين »
و « رجال الأزهر » كهمون للقصر فى صراعه ضد جماهيرية
النحاس وشعبيته الطاغية .

(١) محاكمات الثورة — المرجع السابق ص ٦٥٩ .

وقد نجح المراغى بالفعل في استقطاب قوى هامة من شيوخ وطلاب الأزهر الى صف « الملك الصالح » (١).

أما على ماهر فقد نجح — والى حد كبير — في استقطاب الشيخ حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين الى صف القصر ومخططاته ..

وبمناسبة تولية الملك العرش عقد الإخوان المسلمون مؤتمرهم العام الرابع الذى كرس كل وقته لتحية الملك ومبايعته (٢) .

وعندما عارض النحاس اقامة حفل دينى ضمن مراسم توليه الملك ، تدفق جواله الإخوان المسلمين نحو قصر عابدين فى مظاهرات صاخبة حيث نجحوا فى أن يثبتوا — لأول مرة — قدراتهم التنظيمية وامكانياتهم فى حشد تجمعات كبيرة ، وحيث لعبوا — لأول مرة — دورهم كقوة موالية للعرش وحامية له (٣) .

ولقد كانت علاقة حسن البنا بعلى ماهر سببا فى احداث انقسام فى صفوف الإخوان المسلمين ، حيث انقسمت مجموعة من الإخوان وسمت نفسها « جمعية شباب سيدنا محمد » واعلنت هذه الجماعة أسباب انقسامها فأشارت الى « العلاقة الوثيقة بين على ماهر

G.E. Vongrunbaum — Modern Islam — Ibid — pp. (١) 263.

Richard P. Mitchelle. The Society of the Muslim (٢) Brothers. Oxford, (1969) — pp. 14.

Ibid, pp. 16. (٣)

والجماعة ، وما تردد عن تلقى الجماعة — مساعدات مالية كبيرة بواسطة على ماهر ، كذلك انتقدت استخدام على ماهر للاخوان كأداة طيعة في صراعه ضد الوفد» (١) .

ويشير ريتشارد ميتشل (وهو أحد الباحثين الجادين في تاريخ الإخوان المسلمين) الى ان انقسام « جمعية شباب سيدنا محمد » كان نتيجة لتأثير وفدى « حيث كان بعض الوفديين حتى هذه الفترة لا يجد ثمة تناقض بين وفديته وانتمائه للاخوان المسلمين » (٢) . فلما انحاز حسن البنا الى القصر ضد الوفد انقسمت هذه الجماعة .

ومنذ ذلك الحين ، بدأ الصراع سافرا بين الوفد والاعوان المسلمين الذين أصبحوا أداة في كل يد معادية للوفد . .

في عام ١٩٤٦ ، وفي أوج انتعاش الحركة الوطنية ، استخدمهم اسماعيل صدقي ضد الحركة الوطنية عموما ، وضد الوفد والشيوعيين بشكل خاص .

وفي أحد مرافعاته يقول أحمد حسين — متحدثا عن هذه الفترة — ان الإخوان « خاصموا الوفد وخصمهم ، فبدأت الاحتكاكات بين الطرفين ، وبدأ الصدام على طول الخط ، وكان طبيعيا أن تقف الحكومة الى جوار الإخوان

Ibid, pp. 17.

(١)

Ibid, pp. 17.

(٢)

المسلمين في كل صدام يقع بينهم وبين الوفد ، بل كانت
تحميهم وتشدد أزرهم « (١) .

وتحمل لنا صحف هذا العام أنباء مصادمات دامية
بين الوفديين والاخوان ، خاصة وأن الاخوان قد اتجهوا
— مستندين الى دعم الحكومة لهم — الى استخدام
العنف ضد خصومهم السياسيين . وفي ٦ يوليو وقع
صدام بين الاخوان والوفديين في مدينة بور سعيد
استعمل فيه الاخوان الرصاص والقوا ثلاث قنابل فأسفر
الحادث عن قتل واحد من خصومهم واصابة ٣٥ شخصا
فتجمع الكثير من الوفديين والأهالي على دار الاخوان
واشعلوا فيها النار هي والنادى الرياضى التابع
للاخوان « (٢) .

وحاصر المرشد العام في أحد المساجد في المدينة ولكنه
استطاع الإفلات ، وفي اليوم التالي شيعت جنازة المتوفى
وقذف المشيعون مركز الأخوان بالحجارة فعمل البوليس
على تفريقهم وأطلق عليهم الرصاص وأصيب ١٦
شخصاً « (٣) .

وطوال هذه الفترة كان الاسم الذى تطلقه الصحف
الوفدية على زعيم الاخوان هو « الشيخ حسن
راسبوتين » .

(١) أحمد حسين — مرافعه في قضية اغتيال المرحوم محمود
فهى النقراشى ١٩٤٩ ص ٤٣ .
(٢) المصرى ١٩٤٦/٧/٧ .
(٣) الاهرام ١٩٤٦/٧/٨ .

والحقيقة أن الصدام بين النحاس والاخوان لم يكن مجرد رد فعل لانحياز الاخوان الى انقصر ، ولا الى انحيازهم بالتالى لحكومات الاقلية ، وانما كان فى الاساس بسبب رفض النحاس (كمفكر ليبرالى) للاتجاهات المتعصبة للاخوان المسلمين . .

فالاخوان الذين يعلنون انه يتعين حل كل الاحزاب السياسية ، وضرورة ان تستمد كل القوانين من الشريعة ، وبضرورة ان تتدخل الحكومة الاسلامية لتوجيه الافراد للسلوك مسلكا اسلاميا ، والذين طالبوا بالحق المدارس الابتدائية بالمساجد ، وبان تكون الشريعة هى محور التعليم . . (١) لم يكن امامهم الا ان ينتظروا معارضة صارمة من زعيم شعبى ومتقدم الفكر ، دستورى النهج ، ديمقراطى الاتجاه كمصطفى النحاس .

وتأكيدا لهذا الموقف يروى احمد حسين قصة اول لقاء مع النحاس فيقول : « قابلت النحاس باشا فاذا به يجابهنى بأئنى دسييسة ، ثم بدا يناقشنى فى صحة مبادئى وقال : ان فيها بعض المبادئ الخطرة التى لا اكاد افهمها خذ مثلا « الله » التى وضعتها فى اول شعارك فليست اراها الا شعوعة ، لان وضع « الله » فى برنامج سياسى هو شعوعة » (٢) .

(١) Albert Hourani — Arabic Thought in the Liberal Age 1798 — 1939 — Oxford (1970) pp. 360.

(نقلا عن : حسن البنا — الرسائل — ص ٨٢) .

(٢) مرافعات الرئيس احمد حسين فى عهد حكومة الوفد — من

كلاح مصر الفتاة — الطبعة الثانية — ص ٤٧ .

لكننا نخطيء لو تصورنا ان عداء النحاس للاخوان كان يعنى عداء كل الوفديين لهم . ذلك ان هناك قوى فى حزب الوفد (كبار الملاك الزراعيين والجناح اليميني فى الوفد) كانت تحرص على استخدام الاخوان كأداة فى الصراع الطبقي تستهدف ضرب قوى التقدم ..

يقول ريتشارد ميتشل : كان الجناح الليبرالى فى الوفد يقاوم الاخوان المسلمين باستمرار ويعتبرهم اعداء الداء وخوارج ، اما الجناح اليميني فى الحزب والذي كان على راسه فى ذلك الحين (١٩٤٢) فؤاد سراج الدين فقد كان يعتبر ان الجماعة تمثل اداه مفيدة ضد الضغوط الاجتماعية المتزايدة خاصة وان الشيوعيين قد ازداد نشاطهم خلال فترة الحرب ، وهكذا فان سراج الدين قد استغل منصبه كوزير للزراعة لتشجيع الاخوان على توسيع نشاطهم فى الريف (١) .

ولعل هذه الملاحظة الذكية تكفى لكى توضح لنا مدى صعوبة الصراع الذى خاضه النحاس والجناح الليبرالى فى الوفد ضد الاخوان وضد يمين الوفد معا .

وعلى ايه حال ، وبرغم هذه المعارك الضارية التى استخدم فيها مصطفى النحاس كل نفوذه الجماهيرى والتى انهالت فيها مطارق الصحافة الوفديه الواسعة الانتشار والتأثير ، فان الاخوان المسلمين قد نجحوا — مسيئين الى دعم الاحتلال والقصر واليمين — فى

توسيع قاعدتهم . والمهم هو « ان حركة الاخوان
بوضعها هذا قد نجحت في امتصاص جزء كبير من
حيوية الشعب السياسية ، وأبقتها بعيدة عن المشاركة
الايجابية في احداث هذه الفترة (١) .

* * *

.. « أنت دسيسة .. وهناك من دفعك الى هذا
العمل ، والا فمن اين تأتى بالمال الذى تصرف منه على
الحركة ؟ » .

من هو الرجل الذى جابهه مصطفى النحاس — وفي
وجهه — بهذه التهم ؟

انه احمد حسين رئيس جماعة مصر الفتاة ، والرجل
ارتفع صوت صراخه اعلى من اى سياسى آخر اقتحم
ميدان السياسة المناوىء للوند ..

ويمضى مصطفى النحاس فى هجومه على احمد
حسين — فى اول لقاء لهما — مهددا ومتوعدا : « افعل
ما يحلو لك ، فقد أعذر من أنذر ، أننى سوف أعتبرك
خارجا عن الوحدة ، والأمة لا ترحم الخوارج . فكل
من فكر فى أن يخرج علينا فقد هدمناه هدماء ، والأمة
لا ترحم » (٢) .

(١) طارق البشرى — الحركة السياسية فى مصر — ١٩٤٥ —
١٩٥٢ — الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٢) — ص ٧٤ .
(٢) مرافعات الرئيس أحمد حسين فى عهد حكومة الوند —
المرجع السابق — ص ٤٧ .

فمن هو أحمد حسين ؟ وكيف بدأ حياته السياسية ؟
وبأية أهداف ؟ تعود القصة الى أغسطس ١٩٢٩ عندما
عاد محمد محمود باشا الى القاهرة بعد جولة مفاوضات
في لندن ومعه مشروع معاهدة محمود — هندرسون .

وكان محمد محمود يبنى كل خطته على تصور له لموقف
الوفد من مشروع المعاهدة . فاما أن يعارضه الوفد ،
وفي هذه الحالة تسوء العلاقة بين الوفد والانجليز الذين
لن يجدوا مناصا من مساندة الحكم غير الدستوري لمحمد
محمود (وكان محمد محمود زعيم الأحرار الدستوريين !
وقد عطل الدستور ثلاث سنوات قابلة للتجديد) ، وأما
أن يوافق عليها الوفد ، وبهذا يضمن محمد محمود
شعبية تمكنه من الاستمرار في الحكم .

أما النحاس فانه — كعادته — قد فاجأ خصمه من
حيث لا يحتسب ، فأعلن انه لن يدلي برأيه في المشروع
« الا تحت قبة البرلمان المنتخب انتخابا صحيحا » .
ومضى النحاس قائلا : ان مناقشة المقترحات في ظل
الديكتاتورية « نقمة وفتنة » وفي ظل الدستور نور ورحمة
وعصمة . ذلك ان النحاس كان يؤكد انه « لا معنى
لتقرير مصير الأمة ، وهي مقهورة في الداخل ، مهذرة
حقوقها وحريتها » .

وهكذا أسقط في يد محمد محمود ، وكانت ضربة
النحاس له ولمشروعه ولأسلوب حكمه قاصمة وعنيفة ،
وكان — في عزله — بحاجة ملحة الى أي صوت ليرتفع
مؤيدا لمشروع المعاهدة .

وهكذا بدأت خطة ابراز أحمد حسين على مسرح
السياسة المصرية .

ويعترف أحمد حسين بالقصة تفصيلا . ويؤكد — في صراحة — أن بعض المتصلين بمحمد محمود باشا قد عرض عليه أن يعمل لمناصرة المعاهدة ، وأنه لم يتردد في قبول ذلك « (١) . وألف هو وبعض الشباب ، منهم حافظ محمود جماعة « الشباب الحر أنصار المعاهدة » . ولم تكن هذه الجماعة سوى مجرد تابع لحزب الأحرار الدستوريين يتحرك في إطار نفوذه ويستمد العون من ماله ورجاله ، وكانت الجماعة لا تكف عن إصدار البيانات التي تعلن فيها شكرها « لبطل المعاهدة وزعيم البلاد محمد محمود باشا » (٢) .

وبدا أحمد حسين في تنفيذ الدور المنوط به ، وهو الهجوم على الوفد وعلى مصطفى النحاس شخصيا ، في مقالات بعنوان « تكلموا » ، نشرها على صفحات « السياسة » جريدة الأحرار الدستوريين وصف فيها موقف الوفديين من المعاهدة بأنه « موقف لا يغبطون عليه ، وليس فيه ما يشرفهم في كثير أو قليل » . وقال « أنهم مسساكين مضطربون يحسبون أنهم يستطيعون بهذا السكوت المزرى أن يهربوا من الواقع ، ولكن الواقع يصدمهم الصدمة بعد الصدمة ، فهم لن يفيقوا من وهمهم الا لينزلوا منكبين على وجوههم الى قبرهم السياسي الذي حفروه بأيديهم الجانية » (٣) .

وفي تلك الأحيان كان « أحمد حسين » يسير تماما في ركاب زعيم حزب « الأعيان » مشيدا بقبضته الحديدية

(١) أحمد حسين — ايماني — الطبعة الاولى (١٩٣٦) ص ٦٦

(٢) السياسة — ١٩٢٩/٩/١٥ .

(٣) السياسة — ١٩٢٩/٨/٢٤ .

على عنق البلاد ، ملقيا الخطب في احتفالات « الأحرار الدستوريين » ، مناشدا محمد محمود باشا أن يقبل زعامة مصر وأن يكون لها « كموسولينى فى ايطاليا » . وفى أحد الاحتفالات وجه أحمد حسين خطابه الى محمد محمود قائلا : « مصر بحاجة الى زعيم . وهذا الزعيم هو أنت ، أنت يابن الصعيد الذى بقى محافظا على استقلاله ستة آلاف عام . واذن فبلسان الشباب الحر ، بلسان مصر الفتاة ، أسألك أن تكون زعميا للشباب فى الوزارة أو خارجها على السواء ، لاتظنن وقد جئت بالمعاهدة ان عملك قد انتهى . لا والله فانه لم يكد يبدأ . فالى العمل اذن والشباب يؤيدك ، ويرفع لواءك » (١) .

لكن محمد محمود لم يلبث أن يسقط ، ولم يبق امام أحمد حسين سوى أن يحاول أن يصبح هو « موسولينى مصر » .

ومن « جماعة الشباب الحر أنصار المعاهدة » الى « مشروع القرش » الذى ثارت أقاويل كثيرة حوله ، الى جماعة مصر الفتاة التى حدد لها اطارا فكريا فاشيا صرفا . وانصرف الى ترديد دعايات المحور والدعوة للتحالف معه نكاية فى الانجليز تحت شعار « هدو عدونا هو صديق لنا » (٢) .

(١) السياسة ١٩٢٩/١/١ .
Jean-Pierre Thieck. La Journée du 21 Février 1946 (٢)
dans l'Histoire du Mouvement National Egyptien
Université de Paris VII. pp. 71.

والحقيقة أن أحمد حسين لم يخف على الإطلاق اتجاهه الفاشي . . ولم يكن الأمر مجرد اتخاذ فكرة التمصان الملونة والتأكيد على أنه استوحاها من هتلر وموسوليني (١) وإنما كان ترديد كل « الأدبيات » الفاشستية ومحاولة الباسها « ثوبا » مصرية . .

ففي « المبادئ العشر » يحرض أحمد حسين أتباعه « امتلئوا إيماناً بمجدك وقوتك — احتقر كل ما هو أجنبي بكل نفسك وتعصب لقوميتك الى حد الجنون » (٢) .

وبعد رحلة قام بها أحمد حسين الى إيطاليا والمانيا ، يعود ليؤكد على صفحات جريدته مصر الفتاة « أننا سوف نثبت جدارتنا بالسير ببلادنا في الطريق الذي سلكه من قبل هتلر وموسوليني » (٣) .

ثم هو يعود ليؤكد ، في حديث أدلى به لمراسل جريدة « لا فورو فاشيستا » الإيطالية ، أن مبادئ حزبه تتشابه مع مبادئ كل من روما وبرلين . ويقول : ونحن نرغب في أن نقلد زعيمكم الدوتشي فيما أدخله من الإصلاحات « وقال » أن تشبيه مصر الفتاة تعتقد أن — الدوتشي هو منشئ قواعد السياسة في هذا العصر (٤) .

ولقد تميز أحمد حسين ، عبر التاريخ الحديث لمصر ، بأنه كان السياسي الوحيد الذي تجرأ على رفع عقيرته

(١) أحمد حسين — إيمانى — المرجع السابق . ص ٢١١ .

(٢) الصرخة — ١٩٣٣/١٢/٩ .

(٣) مصر الفتاة ١٩٢٨/٩/٤ .

(٤) مصر الفتاة ١٩٢٨/٨/١ .

بصيحات وحشية مثل « هيا نحطم القيود والأغلال ، أما هؤلاء الذين سيعترضون لطريق فالويل لهم ألف مرة ومرة ، والله لنحطمهم كما يحطم الزجاج الهش ، ولنمزقن أشلاءهم ونذريها في الهواء ، فما نقبل بعد اليوم خلافا في بديهيات أولها أن الحكم الحاضر بدستوره وبرلمانه لا يصلح أساسا لرقى شعب يريد المجد ، وأن سياسة الجيل القديم بأجمعهم لم تعد فيهم الروح الوطنية اللازمة لمسيرة آمال الأمة . . أن المكائد تكاد ، ولكن هيهات أن تدرك الزاحفين إلى الأمام شفقة ، هيهات أن تحسب حياة أفراد بل مليون من أبناء هذه الأمة في جانب أن يحيى الباقون حياة كريمة ، فلتمتلىء الطرقات بالجثث ، وليصل من طلائع الجيش من يصل فليس بشيء أن نغسل غاياتنا بالدماء ، وأن نطهر ضمير الأمة بحسريق عظيم من الأجساد ، أجل ليس بشيء مطلقا » (١) .

.. يمثل هذه « الوحشية » كان أحمد حسين يخاطب الناس ، بل أن الأمر قد وصل إلى حد تمجيد القتل والقتلة ، فهو يتحدث بفخر عن الفاشستى كودريانو (رئيس القمصان الأخضر في رومانيا) والذي قبض عليه بعد قتله ثلاثة أشخاص هم محافظ المدينة وأحد القادة وأحد وكلاء الوزارات ويقول : « أنه يتوج هامته بأكليل من وضع فيه ثلاث جماجم بشرية » (٢) .

(١) مصر الفتاة ١٢/٨/١٩٣٨ .

(٢) مرافعة النيابة العامة في قضية الجناية رقم ١٤٣ سنة ١٩٥٢ عسكرية عليا المتهم فيها أحمد حسين (وهى القضية المعروفة بقضية حريق القاهرة) ص ١٦ — « نقلا عن مصر الفتاة العديدين ١٥ ، ١٦ — ديسمبر ١٩٣٨ » .

ثم اكمل احمد حسين « وعيده » بأن كون جماعات القمصان الخضر التي استخدمت العنف في محاولة لارهاب الوفد . . والوفديين ، وكان لابد من مجابهة هذه المحاولة لترويع وارهاب الحركة الوطنية لصالح مخططات المحور . ولعل النحاس قد استلهم القول العربى « وداونى بالتي كانت هى الداء » عندما وافق على فكرة زهير صبرى المحامى ومحمد بلال بانشاء القمصان الزرقاء .

وفي ١٠ يناير ١٩٣٦ قام محمد بلال باستعراض على رأس ١٥٠٠ من شباب القمصان الزرقاء فى الشوارع المؤدية الى النادى السعدى . وكانت كلما مرت فرقة بالشاهدين هتف قائدها « جهادنا » فيردد افراد فرقته « لمصر » فيهتف « شبابنا » فيردون « للملك والوفد » فيهتف « شعارنا » فيقولون « طاعة وجهاد » (١) .

وهكذا دخل الوفد ميدان « العنف السياسى » لأول ولاخر مرة فى تاريخه . . لكن اقدام النحاس على هذه الخطوة احدث ارتباكا خطيرا فى صفوف خصومه ، ذلك ان ادخال هذا الاسلوب الشبه عسكرى فى صفوف حزب هائل كالوفد يمثل تحولا خطيرا فى موازين القوى ، ويهدد بتحويل الوفد بجماسايره الغير الى قوه هائله حسنة لتنظيم والتسليح ، ولعل هذا هو السبب فى أن القصر واعوان المحور قد نفضوا ايديهم من لعبة « القمصان الخضراء » مقابل ان يكف الوفد عن لعبة « القمصان الزرقاء » .

(١) كوكب الشرق ١١/١/١٩٣٦ .

وكان السير ما يلز لا مبسبون ممن فزعوا اشد الفزع
من هذه الخطوة ، فكتب في تقريره السنوى عن موقفه
تجاهها :

فقرة ٢.٦ : اتخذ مؤتمر الشباب الوفدى قرارا في
٩ يناير بتأسيس منظمة للشعبية على النهج الفاشستى ،
وقد ايد الوفد هذا الاتجاه بعد ان وجد ان احزاب
الاقليات قد بدأت في تجنيد عديد من الطلاب في تنظيمات
فاشستية بهدف حشدهم في — حركة مناهضة للوفد .

فقرة ٢.٨ : تأسست لجنة من حزب الوفد لتنظيم
وتدريب فرق القمصان الزرقاء الذين وصلتنا تقارير
تفيد ان عددهم قد بلغ في يوليو ١٠.٠٠٠ شخص .
واختير النحاس رئيسا للحركة .

فقرة ٢.٩ : وفي يوليو قام القائد العام للقوات
البريطانية في مصر بتحذير مكرم عبيد من السماح لهذه
الحركة بالنمو دون رقابة . ورد الأخير عليه بأن
تعليمات قد صدرت لقادة القمصان الزرقاء بان يوجهوا
نشاطهم نحو المسالك القانونية فقط . واثار مكرم الى
ان الحزب حريص على الا يتولى احد السياسيين أى
منصب قيادى فى القمصان الزرقاء . لكن هذه التأكيدات
لم تنجح فى أن تمحو أو حتى تقلل من خوف المسئولين
المصريين من تطور هذه الحركة (١) .

(١) لتقرير السنوى عن عام ١٩٣٦ من السير مايلز لامبسون
الى مستر ايدن وثيقه مودعه بالمتحف البريطانى مكتوب فى صدر
صفحتها الاولى (هذه الوثيقة ملك لحكومة صاحب الجلالة) اعدت
كى تستخدم فقط فى وزارة الخارجية ، ملف رقم ٣٧١ — ٢٠٩١١ —
سرى — ١٥٢١٧ — أرشيف رقم ٨ (ل . ٣٥٢٢ — ٣٥٢٢ — ١٦)
استلم فى ١٩ أغسطس طس تحت رقم ٩٠٦ .

على ان الصراع بين النحاس ومصر الفتاه واتجاهاتها
الفاشية قد اتخذ مسالك أكثر عنفا من ذلك . .

ففى يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٣٧ اطلق عز الدين عبد القادر
اربع رصاصات على سيارة مصطفى النحاس ، واعترف
لدى القبض عليه بأنه عضو فى جمعية مصر الفتاه ، وأنه
ارتكب جريمته لأنه قرأ المعاهدة ولم تعجبه (١) .

كذلك اكد احمد حسين ان هدفه الاول والوحيد هو
القضاء على زعامة النحاس . . « تلخصت العقبة التى
تعترض سير الايمان الجديد فى الوفد . فهذه الزعامة
المقدسة التى فرضها النحاس باثنا على الامة وهذه
الرغبة فى القضاء على الروح الجديدة التى نبعت من
مصر الفتاه . . كل ذلك ادى بنا الى اعتبار الوفد
خصمنا الاول . وضرورة العمل على صراعة والتغلب
عليه وراحة البلاد من كابوسه » (٢) .

ومن ناحية أخرى ، فان النحاس قد أشهر هجومه
العنيف على احمد حسين . ولم يكتف بتصدى رجاله
« القمصان الزرقاء » لفرق احمد حسين ، ولا بهجمات
مركزه من الصحافة الوفدية على احمد حسين وحزبه
وانما أعلن رسميا وبصفته رئيسا للوزراء وامام البرلمان
اتهامه لاحمد حسين وحزبه بالعمالة لدولة اجنبية .

وقد جاءت هذه الطلقة العنيفة من مصطفى النحاس
بمناسبة استجواب تقدم به النائب هارون ابو سحلى

(١) البلاغ ١٩٣٧/١١/٢٩ .

(٢) احمد حسين « من أجل الله ومن أجل الملك » مقال بمصر

الفتاة ١٩٣٩/٦/٢٢ .

لرئيس الوزراء عن أسباب مقاومة الحكومة لسفر بعض اعضاء مصر الفتاه في رحلة الى الصعيد بالقميص الاخضر وجاء الرد الصاعق ، من مصطفى النحاس ، في صورة بيان رسمى قال فيه « ثبت لوزارة الداخلية ان جمعية مصر الفتاه تعمل لحساب دولة اجنية ضد مصلحة البلاد . ولذلك قررت الوزارة ، حرصا على مصلحة الدولة ان تمنع تجوال اعضاء هذه الجمعية في القرى بزي خاص وان هذه الجمعية التى تنطوى اغراضها وعلاقاتها على ما يضر بمصلحة الدولة الكبرى ، لا يصح مقارنتها بجماعة الشبان الذين يرتدون القمصان الزرقاء والذين تقوم مبادئهم على احترام النظام والقانون والعمل لخير البلاد ، وينتمون لهيئة سياسية مسئولة » (١) .

وقد اثار هذا الاتهام اضطرابا شديدا في صفوف حلفاء مصر الفتاه ومحركيها . وطالب بعضهم بايداع ادلة الاتهام لدى المجلس . . لكن النحاس يرفض ، بل ويصعد الامر الى درجه تحدى الخصوم بطرح الثقة بحكومته . فهو يرد بعنف قائلا : « الوزارة متثبتة مما تقدم اليها من الادلة . . وان هذه المسائل تتعلق بسياسة الدولة العامة ، وهى من اسرار الدولة ، ولا يمكن ان تتقدم بها ولن تتقدم ، لان اسرار الدولة فوق كل اعتبار والوزارة مسئولة امامكم ، فاما ان تعطوها ثقتكم ، واما ان تسحبوا منها هذه الثقة والرأى الآخر لكم » .

(١) مجلس النواب — الهيئة النيابية السادسة — مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى الاول — المجلد (١٩٣٦) مضبطه ١٩٣٦/٦/٢٢ ص ٩٦ .

وهكذا ظل الاتهام معلقا على رأس احمد حسين
وجماعته .. بينما راحت الصحف الوفدية تلمح الى
ان الدولة المعنية هي ايطاليا (١) .

ثم يعود الأمر ليتفجر من جديد ، عندما يقال
النحاس فاذا به يتقدم على الفور ببلاغ الى النائب العام
يطالبه فيه بالتحقيق مع احمد حسين قائلا : انه حينما
كان وزيرا للداخلية ورئيسا للحكومة اطلع على تقارير
رسمية واوراق مختلفة تظهر ان جمعية مصر الفتاة
كانت تتلقى اعانات مالية في اوقات مختلفه من على ماهر
باشا ومحمد محمود باشا - واسماعيل صدقي باشا وبهي
الدين بركات باشا ومحمد على علوبه باشا والنبيل
عباس حليم وعبد الخالق مذكور باشا وغيرهم ممن
وردت اسماءهم في التقارير والاوراق المذكوره . هذا
فضلا عما جاء في هذه التقارير من صلة هذه الجمعية
بمصادر اجنبية وانتهى النحاس بأن طلب التحقيق مع
جميع من ورد اسمهم في البلاغ (٢) .

والحقيقة ان تغاضى النائب العام عن التحقيق في
هذا البلاغ لا يقلل على الاطلاق من جدية التهم التى
وجهها رجل مسئول مثل مصطفى النحاس ، بل لعل
هذا التغاضى هو في حد ذاته دليل ادانة ليس فقط ضد
احمد حسين وانما ايضا ضد هؤلاء الذين تعمدوا حمايته
والتستر عليه .

* * *

(١) آخر ساعة - ١٩٣٦/٧/١٩ .

(٢) المقطم - ١٩٣٨/١/٢٤ .

ولكى ندرك الأبعاد الحقيقية للمعركة التي خاضها مصطفى النحاس ضد التيارات — الفاشية وضد عملاء المحور يتعين علينا أن ندرك أن القصر كان ضالعا وحتى قمة راسية في هذه المؤامرات . .

ولقد كشفت وثائق عديدة ، فيما بعد ، كيف أن الملك قد حاول أكثر من مرة الاتصال بالإيطاليين والالمان محاولا إقامة معابر معهم ضمانا لعرشه لدى احتلالهم لمصر . .

وفي يوم ٢٣ فبراير ١٩٣٩ ، كتب الكونت شيانو وزير خارجية إيطاليا في مذكراته يقول أن نبأ مثيرا قد وصله عن مقابلة تمت بين مراد سيد أحمد باشا وزير مصر المفوض في برلين والسفير الإيطالي هنريك « اتوكيلو » استفسر فيها الوزير المصري باسم مليكه « الذى يناصب الانجليز العداء عما اذا كان المحصور سيقف الى جواره ويسانده اذا ما أعلنت مصر حيادها وترتب على ذلك تدخل مباشر أو غير مباشر من جانب بريطانيا العظمى » (١) .

وتؤكد المخابرات البريطانية أنها قد حصلت بعد الحرب ، على وثائق ألمانية تفيد أن على ماهر باشا رجل القصر المفضل في ذلك الحين ، وأستاذ عملية التقارب مع المحور ، ومخطط الهجوم على الوفد

The Clano Diries — 1943 — Doubleday and Com- (١)
pany — New York (1946) pp. 32.

ومصطفى النحاس » كان يحصل على مبالغ مالية من
المانيا الهتلرية عن طريق بنك درسدنر « (١) .

هكذا يمكننا أن نفهم أبعاد الصراع .. والقوى
الحقيقية التي تحالفت ضد الوفد ، ومدى خطورة
وصعوبة المعركة التي صمم النحاس على خوضها دحرا
للفكر الفاشي ورفضاً للتقارب مع المحور ، وافتسادا
لمخططات القصر وعملائه .

وهكذا أيضا نستطيع تفهم البعد الحقيقي لأحداث
٤ فبراير ١٩٤٢ .

٤ — ٤ فبراير .. بداية أم نهاية ؟

لقد كتب الكثير عن حادث ٤ فبراير ، لكن الأبحاث
التاريخية قد تركزت — في اعتقادنا — في اتجاها
خاطئ .. كيف وقع الحادث ؟ وماذا كان موقف النحاس
منه ؟ وحرص المؤرخون الوطنيون والتقدميون على
محاولة « تبرئة » النحاس من علمه بالحادث وبتدبير
الانجليز له ..

وقد نسي هؤلاء أنه كان هناك سعى من خلال أمين
عثمان ، وقبل ٤ فبراير ١٩٤٢ بأربع سنوات ، لحث
الانجليز على « الوصول بالأمور الى نهايتها المريعة

G. Kirk — The Middle East in the War 1939 - 1945. (١)
London (1953) pp. 34.

مع الملك « . . وان الخطة قد تعطلت نظرا لرفض النحاس لشروط الانجليز والمتعلقة بتشكيل الوزارة .

ونسوا أيضا ان النحاس قد أعلن في أبريل . ١٩٤٠ ، وما بعدها ، ان خلافه مع الانجليز ينصب أساسا على تأييدهم للانقلاب الدستوري .

ونسوا أخيرا ، ان السير مايلز لامبسون (اللورد كيلرن) صاحب الحادث ومخططه ، قد أكد في مذكراته التي نشرت أخيرا علم النحاس بالحادث قبل وقوعه وموافقته عليه (١) .

لكن القضية الأساسية التي تتعين دراستها هي لماذا قبل النحاس الاشتراك في مخطط كهذا . . ؟

وما هو وجه الاغراء للزعيم كالنحاس في أن يقحم نفسه ، وبهذه الصورة ، ليتولى منصب رئيس وزراء بلد توشك جحافل الغزاة الفاشست على اجتياحه . . بلد يقف عاجزا أمام غزاة قادمين وغزاة مقيمين ، وتخيم عليه ، في ذلك الحين ، أزمة اقتصادية طاحنة . وكان النحاس نفسه يردد : « ما الذي أستطيع أن أعمله والبلد جعانة ؟ » (٢) .

الصفقة لم تكن ، اذن ، مغرية ولا هي بالرابحة . والزعيم الجماهيري مطالب بأن يسير إليها على حراب الانجليز أعداء الوطن .

(١) The Killearn Diaries — 1934 — 1946 — Edited by Trefor Evans — Sidgwick & Jackson — London (1972).

(٢) لطفى عثمان — المحاكمة الكبرى في الاغتيالات السياسية — دار النيل للطباعة (١٩٤٨) ص ٤٣ . (شهادة مصطفى النحاس) .

وقد فعلها النحاس الرجل الذكى ، الصافى
الذهن ، الذى يتميز عن غيره من زعماء عصره باحساسه
العميق والمرهف بنبض الجماهير ومشاعرها .

فعلها النحاس ، وظل يتحمل مسئوليتها أمام جماهير
شعبه . وتحمل بسببها طعنات من خونة ظلوا طوال
حياتهم خداما للانجليز . وسيظل ، وعلى مدى التاريخ،
يحاسب عليها .

والسؤال هو : لماذا ؟

وثمة جواب وحيد مقنع : لهذه الأسباب بالذات
قبل النحاس { فبراير . لأن الألمان على الأبواب ،
ولأن القصر يناور مع الغزاة الجدد ، ولأن الفاشست
كانوا قد كونوا بالفعل حكومة ظل لتتولى الحكم فور
وصول الألمان ، ولأن عملاء القصر تظاهروا بايعاز من
المراغى هاتفين « الى الامام ياروميل » (١) .

ولأن الأزمة الاقتصادية مستحكمة ، والناس لا تجد
الخبز . لذلك كله ، قبل النحاس { فبراير كمخرج
يضمن سلامة مصر . لكنه مخرج الزعيم الوطنى الذى
لا يثق فى حركة الجموع ، ولا يعتمد عليها ، ولا يقدر
حقيقية الطاقات التى يمكن أن تفجرها ، فلم يجد
سوى المثل العربى القديم « وداونى بالتى كانت هى
الداء » .

(١) نشرت أخبار اليوم ، فيما بعد ، ان الذى هتف بهذا هو
عبد السلام ونا أفندى عامل المصعد بالتصر العينى . وأومات الى
انه بعد هذا الحادث أتحت له فرصة العمل كصحفى .

ولقد كان لحادث { فبراير ذبول عدة أخطرها انقسام
مكرم عبيد عن الوفد ، الأمر الذى أحدث رجة حقيقية
في صفوف الوفديين . وليس من تفسير لهذا الانقسام
إلا أن القصر الذى ارتج عليه الأمر نتيجة لحادث
{ فبراير ولاستناد الوفد بجبروته الشعبى إلى الاحتلال
بجبروته العسكرى لم يجد بدا أن يلعب آخر أوراقه ،
وكان استخدام الواقعية بين مكرم وسراج الدين . والعمل
على توسيع هذا الخرق حتى تم الانقسام ، ومن ذبول
انقسام مكرم « الكتاب الأسود » وتلك الحملات المنظمة
الواسعة النطاق ضد المحسوبيات والرشاوى واستغلال
النفوذ الذى تنفّس في عهد الحكومة الوفدية ، والذى
امتد ليضم دوائر لصيقة بالنحاس باشا أو بالدقة
زوجته وأسرتها والمحيطين بهما .

ولم يكن الفساد غريبا على مصر في ذلك الحين . .
ولا حتى كان غريبا على الحكومات الوفدية ، لسكن
وجه الغرابة جاء من ملاصقته للزعيم الذى اشتهر
بالتعفف والبساطة ، وجاء أيضا من تقشيره واتساع
نطاقه ، وتغاضى الزعيم عنه بحجة أن الوفديين قد
اضطهدوا في العهود السابقة فلا بأس من أن ينالوا
بعض حقهم في عهد حكومتهم . . لكن النتيجة كانت أن
خصوم الوفد أمسكوا بأدلة دامغة شهروا بها على
النحاس وأسرته وحزبه أيما تشهير .

٥ - النحاس واليسار . .

وهذه العلاقة تستحق دراسة متأنية . فالنحاس
الذى اتهمته المصحف الانجليزية يوم توليه رئاسة
الحزب بأنه زعيم الجناح اليسارى في الحزب . . والذى

اتهمه المنشقون عليه في عام ١٩٣٧ « بالبلشفية » . .
وقد ردد هذا القول صراحة أحمد ماهر أمام الهيئة
الوفدية متهما النحاس بأنه قد أغدق النعم على العمال
حتى أبطروهم وجراهم على الاخلال بالنظام والتحكم في
رؤسائهم وتوجيههم للاعتداء على خصوم الحكومة .
واعتبر أحمد ماهر قرار النحاس بنقل وكيل المطبعة
الأميرية استجابة لرغبة العمال « عملا شبيها بأعمال
البلشفية » (١) .

والنحاس الذي اتهمته « أخبار اليوم » في عام ١٩٤٧
أحد رجاله المقربين ، وهو الدكتور محمد مندور رئيس
تحرير الوفد المصري ، بأنه كان واسطة « بين حزب
الوفد والكونغرس » وأنه أسهم في تحرير ميثاق بين الوفد
والدولية الثالثة » (٢) .

والذي لفقت ضده عدة وثائق تتهمة بالتخابر مع
كيكتيف مستشار السفارة السوفيتية ، ثم اتضح تزيف
هذه الوثائق وضلوع بعض أقطاب حزب الأحرار
الدستوريين في ترويجها (٣) .

هذا الرجل الذي منح الوفد مسحة من التقديمية
في افكاره والذي دفع المؤتمرات الوفدية الى تبني
اتجاهات اصلاحية وتقدمية ، والذي أصدر في عام ١٩٤٢

(١) المصري ١٩٣٧/١٢/٢٥ .

(٢) أخبار اليوم ١٩٤٦/٧/١٣ .

(٣) الأهرام — ١٩٥١/٦/٧ (وقد تورط في ترويج هذه الوثائق
المزيفة اثنان من أقطاب الأحرار الدستوريين هما محمد علي علوية
باشا وحسن باشا عبد الوهاب) .

القانون ٨٥ الخاص بالنقابات العمالية ، والذي قدمت لجنة العمال والشئون الاجتماعية بمجلس النواب الذي كان الوفد يسيطر عليه بأغلبية كاسحة تقريراً حول مشروع هذا القانون جاء فيه : « لقي فريق من أصحاب الأعمال من صناع وتجار — ممن نصبوا أنفسهم للكسب والثراء ، وجعلوه قبلتهم وغايتهم من كثرة الاجراء وعظيم تزاحمهم ، فرصة للسيطرة عليهم والتحكم فيهم . فقدروا أجورهم بما شاعوا وحددوا لهم ساعات عملهم . . وكان طبيعياً بعد ذلك أن يشعر العمال بأن أصحاب العمل إنما يسخرونهم في خدمتهم ويستنزفون قوتهم لاقامة ثرواتهم والاستزادة من أرباحهم » (١) .

هذا الرجل هو نفسه الذي عزز مواقع اكبار الملاك العقاريين في حزب الوفد . . ففي ٢ ديسمبر ١٩٣٢ ضم النحاس الى قيادة حزب الوفد اثني عشر عضواً جديداً كان منهم ثمانية من كبار الملاك الزراعيين (٢) .

وهو الذي شكل وزارته في ٤ فبراير ١٩٤٢ وهي تضم ٦٣/٧ في المائة من زورائها من كبار الملاك الزراعيين ، ثم أعاد تشكيلها في ٢٦ مايو ١٩٤٢ لتضم ٦٤/٢ في المائة من وزرائها من كبار الملاك الزراعيين (٣) .

(١) عبد المنعم الغزالي — تاريخ الحركة النقابية المصرية — دار الثقافة الجديدة (١٩٦٨) — ص ٢٠٢ .

(٢) المقطم ١٩٣٢/١٢/٣ .

(٣) د. عاصم الدسوقي — كبار ملاك الاراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصري (رسالة دكتوراه غير منشورة) .

هكذا يمكننا أن نفهم الطبيعة المعقدة والمتشابكة
لنهج النحاس ولأسلوبه الفكرى . ولوقفه الاجتماعى .

لكننا ، فيما يخص اليسار ، لا يمكننا أن ننسى أن
النحاس هو الذى منح حزب الوفد متنفسا .
وهو الذى سمح بتكوين « الطليعة الوفدية » والتى
تكونت كامتداد لئصال الطلاب الوفديين ولقنائهم مع
القوى التقدمية داخل حزب الوفد . . وقد أصدرت
الطليعة الوفدية مجلة رابطة الشباب وأنشأت لجنة
القاهرة للتأليف والنشر ، التى أصدرت عددا من الكتب
التقدمية ، ولعب كوادرها دورا هاما فى تحرير جريدة
الوفد المصرى .

وقد حدد مصطفى موسى أهداف مجلة « رابطة
الشباب » التى كان يدير سياستها فى افتتاحية عددها
الأول :

« قارئنا العزيز . . اليك صفحة لم تقصد من
لصحافة خضابا والوانا ، ولم تقصد من الرواج كسبا
واثراء . هى صفحة الأحرار للأحرار . . أحرار يكافحون
الاستعباد ، استعمارا كان أم استبدادا » (١) .

ومع تصاعد دور « الطليعة الوفدية » ، فى تحرير
جريدة « الوفد المصرى » ، تغير طابعها لتصبح بالفعل
جريدة ذات اتجاه وطنى وتقدمى . وانتهى الأمر بأن
أصدر اسماعيل صدقى قرارا بتعطيلها ، فأصدر

(١) رابطة الشباب ١٩٤٧/٣/٢٠ .

صاحب امتيازها « حامد طلبه صقر » جريدة جديدة
باسم « صوت الأمة » حددت أهدافها في صدر صفحتها
الأولى كما يلي :

أهدافنا : الديمقراطية السياسية ، العدالة
الاجتماعية ، استقلال وادي النيل .

وقد نهجت هذه الجريدة نهجا متقدما واضحا ، عندما
خصصت بابا ثانيا تنضج فيه ثروات وملكيات قادة
الأحزاب المعارضة تحت عنوان :

« باشواتنا الرأسماليين » (١) .

كذلك تصدت « الطليعة الوفدية » للدفاع عن حريات
الشعب وفي ظلام الاحكام العرفية في عام ١٩٤٩ يكتب
مصطفى موسى « هل يوجد مصري يدافع عن بقضاء
الاحكام العرفية . لن تجد ، وان وجدته فأعلم أنه كائن
مطعون في آدميته ، فالذى يطلب أن تغل يداه أو يكتم
فوه أو يلغى فكره الحر هو كائن تنقصه خواص
البشر » (٢) .

وقد لعبت « الطليعة الوفدية » دورا بارزا يستحق
التقدير عندما جابهت محاولة فؤاد سراج الدين سكرتير
عام الحزب ووزير داخلية الوزارة الوفدية الأخيرة لتمرير

(١) من تقرير (مخطوط) لسيد البكار أحد قادة الطليعة الوفدية .

(٢) المصرى — ١٩٤٩/١١/٧ .

التشريعات المقيدة لحرية الصحافة وقد حشدت « الطليعة الوفدية » جهودا جبارة انتهت بأن خذلت الهيئسة الوفدية « سراج الدين وأجبرته على سحب هذه التشريعات وعدم تقديمها للبرلمان » (١) .

على أننا لا يمكننا أن ندرك مدى عمق وجدية « الاتجاه يسارا » لدى تيار متكامل من حزب الوفد بغير الاطلاع على الكثير من المجلات والصحف الوفدية التي كانت تعتبر في ذلك الحين منابر تقدمية بالفعل ، والتي كان لابد لها قبل أن تنعطف مثل هذا الانعطاف الهام من أن تحصل على اشارة ضوء اخضر من « الزعيم » الذي كان يولى اهتماما خاصا لصحافة الحزب . . ان نظرة على مجلة « رابطة الشباب » و « البعث » وحتى « صوت الأمة » اللسان الرسمي اليومي لحزب الوفد تكفى لاعطاء انطباع جدى بعمق التحول الفكرى لدى القائمين على تحرير هذه الصحف .

ولنأخذ نموذجا واحدا من جريدة « صوت الأمة » الصادرة في ١٢ يناير ١٩٤٧ ، فهي قد خصصت كامل صفحتها الأولى ومعظم صفحتها الرابعة والخامسة للتعليق على حملة صدقي ضد الشيوعيين والتقدميين في يونيو ١٩٤٦ . وكان مانشيت الجريدة « أسرار وخفايا قضية الشيوعية الكبرى — قصص لم سبق لها مثيل في التاريخ » . وقد اتهمت الجريدة اسماعيل

(١) سيد البكار — المرجع السابق .

صدقى بأنه قد دبر حملة صليبية وهتيرية ضد كل القوى الوطنية والتقدمية . واتهمت صدقى بأنه انما يخدم مصالح الانجليز بحملته هذه . وقالت ان كل وطنى يشتم من هذه الحملة « رائحة الخيانة » والاستعمار والديكتاتورية .

ووصفت « صوت الأمة » المقبوض عليهم بأنهم « صفوة من شباب مصر المثقف وكتابها المعروفين . يلعب الكثيرون منهم دورا ملحوظا فى حياة مصر الثقافية والوطنية » .

وتحدثت الصحيفة عن الأكاذيب التى وجهها اسماعيل صدقى أمام مجلس الشيوخ متهما المقبوض عليهم « بالاتصال بدولة أجنبية » فقالت : « وقد جاء التحقيق الذى أجرته النيابة فكان قاطعا بأن كل ما أدلى به صدقى باشا فى بيانه من اتهامات لا أساس لها من الوجود ، حتى ولا شبهة الوجود ، بل ان كل ما قاله كان من أوهام خياله المريض وتلفيقا فى تلفيق ، وأكثر من ذلك كانت الحقائق التى أسفر عنها التحقيق تكذب كل ما قاله صدقى باشا وتقف معه على طرف نقيض » .

وتمضى الجريدة قائلة : « ولئن نفهم أن تكذب أخبار اليوم » وتلفق ، وهى صحيفة غير مسئولة ومعسوفة بحقارتها ، فلم يكن يصح من صدقى باشا المفروض أنه رجل رسمى مسئول لأنه رئيس وزارة أن يقف فى أكبر مجلس نيابى فى وطننا هو مجلس الشيوخ فيتهم مواطنين أبرياء وهم فى يد القضاء بتهم لا أساس لها من الصحة .

بل ويتهم دولة كبيرة ، وهي الاتحاد السوفيتى ، بالتدخل فى شئون مصر الداخلية « (١) .

وبغير تعليق أو اضافة يكفينا أن نقرر انه ما كان من الممكن لصحافة حزب الوفد ولرجالها أن يتخذوا مواقف كهذه بغير رضاء وموافقة زعيم الحزب .

٦ - نحاس . . ما بعد الحرب العالمية الثانية

ومنذ بدايات الحرب العالمية الثانية ، أدرك النحاس بوعيه السياسى متغيرات عصره . . وأدرك حقيقة الدور الذى سوف يلعبه الاتحاد السوفيتى على مسرح الأحداث الدولية خاصة بعد انتهاء الحرب .

ولم تكن مصادفة أن وزارة النحاس هى الوزارة التى اعترفت ، ولأول مرة ، بالاتحاد السوفيتى ، وأقامت معه علاقات دبلوماسية .

والحقيقة ، أن الوفد قد أحس بضرورة اقامة العلاقات منذ وقت مبكر . ففى بداية عام ١٩٣٩ قدم أحد أعضاء مجلس الشيوخ الوفديين (عزيز ميرهم) استجابا للحكومة . . عن أسباب تباطؤ وزارة الخارجية فى الاعتراف بحكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الممثلة لشعب أصبح اليوم من أقوى الشعوب

(١) صوت الامة ١٢/١/١٩٤٧ .

وأرقاها ، وتطمع الدول الكبرى — ومنها المتحالفة معنا — في خطب وده والتعاقد معه (١) .

وإذا كانت حكومة النحاس قد تقدمت في عام ١٩٤٣ بشروط عدة للاعتراف بالحكومة السوفيتية من بينها : « تعهد الحكومة السوفيتية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لمصر ، وبالإمتناع عن القيام بأية دعاية في البلاد المصرية » (٢) ، فإن هذا الموقف — الذي رفضته الحكومة السوفيتية بشدة — كان يعبر عن المخاوفة المتراكمة لدى الجهاز المصرى — الحاكم ، كذلك ، فإنه مع اصرار الحكومة السوفيتية على عدم تقديم مثل هذا التعهد تراجعت الحكومة الوفدية عن شروطها هذه ، وأقامت العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى (٣) .

والحقيقة اهتمام النحاس بأشيا وحزبه بحركات التحرر الوطنى على نطاق العالم ، وبقضايا النضال المشترك ضد الاستعمار ، كان مبكرا بصورة ملفتة للنظر ، وتستحق الإعجاب بالفعل . .

وخلال حرب الحبشة هاجم النحاس العدوان الايطالى هجوما شديدا اكسبه عدا « المحور » وكل القوى الموالية فى مصر .

-
- (١) مجلس الشيوخ — مضبطة جلسة ١٩٣٩/٣/٢٨ .
(٢) محفوظات رئاسة مجلس الوزراء دوسيه ٦٤ — ٢/٢ — مذكرة سرية مرفوعة من وزير الخارجية لمجلس الوزراء .
(٣) لمزيد من التفاصيل — راجع د. فؤاد المرسى خاطر — العلاقات المصرية السوفيتية (رسالة دكتوراه غير منشورة) ص ٥٤ .

وفي نهاية الثلاثينات ، قبل النحاس ان يتولى عدد من اليساريين المصريين القيام بترتيب لقاء بينه وبين الزعيم الهندي جواهر لال نهرو لبحث وسائل مقاومة الاستعمار البريطاني . . وكان كريشنا مينون واتحاد انصار السلام بمصر هما اللذان قاما باعداد الترتيبات لهذا اللقاء .

ولقد كانت صحف الوفد زاخرة بالتأييد والمساندة لثوار أندونيسيا والصين وكينيا وكل شعب يناضل من أجل حريته . .

كذلك أدرك النحاس وفي وقت مبكر أهمية الوحدة العربية ، وكان أول من وضع اللبنات الحقيقية لتأسيس جامعة الدول العربية بتوقيع بروتوكول الاسكندرية ، كذلك كانت مساندة النحاس والوفد للقضية الفلسطينية مساندة واعية وحاسمة وبغير حدود .

ولقد كان ادراك النحاس لمتغيرات العصر دقيقا وتقديميا ، بمعنى : انه قد حرص على مقاومة كل مظاهر الاستعمار الجديد ، وقاوم سياسة الأحلاف العسكرية ، ولعل موقفه الحازم من هذه الأحلاف هو الذي أبقي مصر بمنجاة منها ، ومن ثم فشل كل مخططات الاستعمار الأمريكى في اقامة حلف عسكري لمنطقة الشرق الأوسط .

كذلك ، صمم النحاس خلال فترة الحرب الكورية على ضرورة انتهاج مصر لموقف الحياد . وكان الحياد يعنى في ذلك الحين منع استخدام أراضي مصر كقواعد أو معاير للقوات الاستعمارية المحاربة في كوريا .

ولعل من حق النحاس علينا أن نقرر له هنا ، انه كان من أوائل الساسة المصريين الذين فكروا في اقامة كتلة لدول عدم الانحياز . ففي خطاب له ، عقب عودته من رحلة الى أوروبا في سبتمبر ١٩٥٠ ، قال : « ولقد قلت ، وكررت القول — وخاصة في اثناء رحلتى — قلت لمثلى الدول الصغيرة : ان في وسع هذه الدول أن تؤلف كتلة « وسطى » تقبى السلام ، وتدافع عنه ، وتعمل على اقرار كلمته ، وبسط سلطانه على العالم ، بشرط أن تتذرع هذه الدول بالتضامن والتعاون والشجاعة فيما بينها على تحقيق ما تهدف اليه البشرية جمعاء » (١) .

وهكذا نرى أن « حياد » مصطفى النحاس هو « حياد ايجابى » بمعنى أنه ليس مجرد موقف انسانى ، وانما يستهدف في الأساس تصفية الاستعمار تصفية كاملة . . وعندما يوجه مراسل « الديلى ميل » البريطانية في يونيو ١٩٥٠ سؤالا الى النحاس عن رأى الحكومة المصرية في الوحدة الأفريقية ، يجيب النحاس قائلا : انه يوافق تماما على قيام وحدة أفريقية بشرط مزدوج هو « تحقيق الحرية الكاملة ، وكفالة الاستقلال التام لشعوب القارة الأفريقية ، وهو شرط أساسى لا بد من قيامه وتوافره قبل الاتجاه الى أى مسعى نحو عقد اتفاقية تشمل القارة الأفريقية كلها » (٢) .

و « نحاس » ما بعد الحرب العالمية الثانية هو « نحاس » النضال المتصاعد ضد الاستعمار الذى سمح

(١) الاهرام — ١٩٥٠/٦/٣٠ .

(٢) الاهرام ١٩٥٠/٦/٣٠ .

لشباب حزبه بالاشتراك النشط في « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » عام ١٩٤٦ ، والذي تصاعد بنضال حزبه ضد الاستعمار ، والاستعمار الجديد ، ولسرائي ، ومن أجل الحرية والديمقراطية والعدل الاجتماعي . .

وهو الذي أتاح الفرص أمام « يسار » حزب الوفد كي ينمو ويقوى بحيث يصبح قوة ضاغطة وفاعلة وقادرة على العمل علنا لأحباط مخططات « يمين الحزب » .

وهو فوق هذا كله بطل معركة إلغاء المعاهدة ، ذلك الإلغاء الذي اتخذ طابعا حماسيا ، وهيا المناخ لتحرك جماهيري لم تشهد له مصر مثيلا من قبل .

ولقد كان إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ، بهذه الصورة ، خطوة شجاعة — بغير شك — خاصة بما صاحبها من تحركات شعبية اتخذت طابع الحماس والنضال المناهض للانجليز .

ولقد فوجئ الانجليز بذلك التصاعد الشديد في موقف الوزارة ضدهم . فقد توقعوا أن يكون إلغاء المعاهدة « شكليا » أو قانونيا وليس بهذه الصورة التي حركت مشاعر كل مصر ضدهم .

ولقد ألغى النحاس المعاهدة وهو يتوقع أن الملك سوف يصدر قرار اقالته . لكن الملك الذي حوصر تماما لم يكن أمامه أي خيار (١) .

(١) أحمد حمروش — قصة ثورة ٢٣ يوليو — الجزء الاول — المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) — ص ١٥٥ .

وبعد خمسة أيام من إلغاء المعاهدة ، تقدم سفراء إنجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا يطلبون مقابلة مشتركة مع وزير الخارجية . ولكن الوزير حدد لهم مواعيد متتالية قدموا له فيها مذكرة واحدة تطالب بتغيير إلغاء المعاهدة بعقد اتفاقية دفاع مشترك . ولكن مجلس الوزراء قرر رفض المذكرة وأعلن ذلك فؤاد سراج الدين في اليوم التالي مباشرة أمام مجلس النواب .

ثم ما لبثت الوزارة أن تصاعدت بموقفها ضد الاحتلال البريطاني ، ولعلها المرة الأولى ، في تاريخ مصر الحديث ، الذي تجرؤ فيها إحدى الحكومات على خوض معركة سافرة ضد الاحتلال البريطاني .

فقد أصدرت الحكومة تشريعا بسجن كل عامل مصري يعمل في القاعدة البريطانية ، الأمر الذي سحب من القاعدة حوالي ٥.٠٠٠ عامل وجعلها غير ذات قيمة ، وامتنع العمال عن تفريغ السفن البريطانية . وفي أيام قليلة تجمعت حوالي ٢٠ سفينة بريطانية في القنال بغير تفريغ لشحناتها .

ثم صدر قرار وزاري بمنع السكك الحديدية من نقل أي مهمات أو مواد إلى القاعدة البريطانية وكذلك منع النقل البري والنهرى إليها .

وصدر تشريع بمعاقبة كل من يتعاون مع القوات البريطانية بالسجن . وقيل أن الحكومة اتصلت بسفراء يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتي لطلب شراء أسلحة حديثة للبوليس .

وهكذا حوَّصر الانجليز حصارا تاما ، ومع احكام هذا الحصار وتصاعد العمل الفدائى ، وصل الى القاهرة نجيب الراوى موفدا من نورى السعيد رئيس وزراء العراق حيث قابل فؤاد سراج الدين فى مكتبه بوزارة المالية ، وقال له ان الانجليز قد اُفلسوا تماما ، وانهم يطلبون حلا يحفظ ماء الوجه ، وانهم مستعدون للموافقة على كل شىء شرط ايقاف اعمال الكفاح المسلح فى القناة . ورد عليه فؤاد سراج الدين ان الموقف قد وصل الى الحد الذى لا يجرؤ فيه مصرى على اعلان ذلك ، وأنه على الانجليز ان يقرروا الجلاء علينا تأمين ظهرهم اثناء الرحيل (١) .

وهكذا ، يمكننا ان نفهم مغزى « حريق القاهرة » فقد وصل المد الثورى ، فى ظل حكومة النحاس ، وبمساندة منها ، الى درجة الغليان . . وكان لابد من اطفائه بافتعال حريق القاهرة . .

ولم يكن بامكان أى حادث اقل من الحريق المروع ان يطفىء جذوة الحماس الملهب التى اشعلها النحاس فى قلوب شعب مصر ، فى هذه الفترة المجيدة من تاريخ الوطن .

٧ — النحاس وثورة يوليو . .

كثيرا ما يعبر المؤرخون غن حيرتهم — لان زعيما مثل محمد فريد افنى حياته اعدادا لثورة ١٩١٩ ، ثم

(١) المرجع السابق ص ١٦٧ .

عندما قامت لم يملك ان يخفى دهشسته البالغة من
قيامها .. ثم يموت وهو غريب عنها ، عاجز عن التوائم
معه ..

فهل كان موقف النحاس من ثورة يوليو ١٩٥٢ ،
هو نفس موقف محمد فريد من ثورة ١٩١٩ .. ؟
ربما كان من حقنا ان نؤكد ان النحاس قد فوجيء
مفاجأة تامة بثورة يوليو .. وانه لا هو ولا حزبه كانا
يتوقعان قيامها ..

وفي الايام الاولى للثورة اعلن حزب الوفد تأييده
لها .. لكنه جاء في موكب التأييد الشامل الذى شذته
كل القوى السياسية الرسمية ، فجاء — لهذا السبب
— بغير حماس خاص ..

ويمكن القول ، ان العلاقة بين الوفد والثورة معقدة
بشكل متميز .. ذلك ان الكثيرين من ضباط يوليو لم
يكونوا يملكون مشاعر معادية للوفد ، بل ربما كانوا
يعطفون عليه ، ذلك النوع من العطف الوجدانى
الذى يشمل غالبية المصريين تجاه حزب الاغلبية . لكن
مشاعرهم ايضا لم تكن تخلو من انتقادات ..
وهواجس . كذلك ، كان الوفد يمتلك الكثير من
مؤهلات التقارب مع ثورة يوليو ، لكنه كان يشعر
بأن واجبها الأول والأخير هو اجراء انتخابات نيابية
حرة ، وباقصى سرعة ممكنة ، الامر الذى يعنى عودته
الى الحكم . اى عودة الضباط الى ثكناتهم .

ومن هنا جاء التناقض الاول . .

اما التناقض الثانى . فقد جاء مع قانون الاصلاح الزراعى ، والحقيقة ان الوفد قد انقسم انقساما حقيقيا ازاء قانون الاصلاح الزراعى وتفجر ذلك التحالف الذى ظل قائما فى قمة الحزب — لامتد طويل — بين البرجوازية وبين كبار الملاك الزراعيين .

فقد اعلن عبد السلام فهمى جمعه انه يوافق تماما على تحديد الملكية الزراعية^(١) واعلن عبد الفتاح حسن ، فى حديث له مع جريدة « التنبؤ » الايطالية ، بان الوفد يفضل تحديد ملكية الاراضى الزراعية على زيادة الضرائب^(٢) . . وثمة دلائل قوية على ان النحاس كان زعيم هذا التيار ، بينما يمكن القول ان فؤاد سراج الدين كان زعيم تيار آخر من كبار الملاك الزراعيين قاوم — والى اقصى حد — قانون تحديد الملكية . بل ويمكن القول ان مقاومته هذه قد ولدت مخاوف لدى قادة الثورة من ان عودة الحياة النيابية (أى عودة الوفد) سوف تعنى التراجع عن القوانين الثورية وهكذا اسهمت معارضة اقطاعى الوفد ، مع عوامل اخرى ، فى ترسيخ فكرة استمرار الضباط فى الحكم وتجاهل الدستور والاحزاب ثم حلها فى المستقبل . ويقول جمال عبد الناصر : انه عقد اربعة اجتماعات مع فؤاد سراج الدين ، وان الخلاف تركّز حول قانون تحديد الملكية ، وان سراج الدين كان يطالب

(١) المصرى ١٩٥٢/٩/٦ .

(٢) المصرى ١٩٥٢/٨/١٤ .

بضرائب تصاعدية (١) . لكن المؤكد ان الوفد قد استطاع ان يصل ، بعد هذا الخلاف ، الى موقف موحد أعلن فيه موافقته على مشروع اصلاح الزراعى من حيث المبدأ ، ولكنه ابدى بعض ملاحظات وتعديلات على المشروع ابلغها الى الجهات المسئولة (٢) .

ثم لا يلبث جناح النحاس ان يخذل كبار الملاك فى الحزب حيث نجح فى ان يضمن برنامج الحزب الصادر فى ٢٣ / ٩ / ١٩٥٢ فقرة تقول : « يرى الوفد أن مشروع تحديد الملكية والاصلاح الزراعى يتفق مع ما يهدف اليه من اشاعة العدالة الاجتماعية والتقريب بين الطبقات وتشجيع استثمار رؤوس الأموال فى الصناعات والاتجاه نحو تصنيع البلاد » (٣) .

ومن هنا فاتنا — لا نفهم — كيف اكد عبد الناصر فى احد خطبة بعد تسع سنوات ان الوفديين : « رفضوا تحديد الملكية الذى طلبناه ، ورفضوا ان يعودوا الى الحكم على أساس تحديد الملكية » (٤) .

وعلى ايه حال ، فان العلاقات مالبثت ان تدهورت بين النحاس والثورة . فقد صمم النحاس على ان المخرج لكل المشكلات هو عودة الضباط الى ثكناتهم واعمال دستور ١٩٢٣ واجراء انتخابات نيابية ..

(١) خطب جمال عبد الناصر فى الاجتماع الاول للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى — ١٩٦١/١١/٢٥ .

(٢) المصرى ١٩٥٢/٩/٦ .

(٣) المصرى ١٩٥٢/٩/٢٣ .

(٤) خطاب جمال عبد الناصر فى الاجتماع الاول للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى — المرجع السابق .

لكن الثورة كانت تقول بإقامة حياة نيابية « سلبية »
وكان الخلاف حول كلمة « سلبية » هذه ، لأنها أدت
الى حمله من التشهير باسمالليب الحكم السابقة ،
وكان فى ذلك كله ما يمس النحاس بشكل مباشر ويمس
حزبه ككل .

ثم بدأت المصادمات العنيفة من محاولة تقسيم حزب
الوفد بالايعاء بان الاعتراض — منصب على شخص
رئيسه ، الى التشهير بالنحاس وزوجته وتصرفاتها
المالية ، الى تقديمها لمحكمة الثورة . وفى عام ١٩٥٤
تقرر تحديد اقامته وهو وزوجته . ثم توج ذلك كله
بتقديم اقرب المقربين الى النحاس وهو ابراهيم فرج
الى محكمة الثورة . . وكانت تهمة ابراهيم فرج هى
« الخيانة العظمى » . . وكانت المحاكمة سرية تماما
بحيث لم تعلن حتى عريضة الاتهام ولا نوع التهمة ، ولم
ينشر منها سوى كلمة الدفاع وكان د . محمد صلاح
الدين . ومن مرافعة الدفاع لا نجد اثرا لشبهة الاتصال
بدولة اجنبية وحتى لم يرد اسم اى دولة . . لكننا
نلاحظ ان الدفاع قد ركز كثيرا على علاقة ابراهيم فرج
بالنحاس ، وقال ان النحاس كان ولى امره ، وهو
طالب ، ثم وظفه فى مكتبه عندما تخرج محاميا وان
العلاقة بينهما علاقة الابن بالوالد . ثم يسأل الدفاع
هيئة المحكمة « هل يخاف احد من النحاس وهو فى هذا
السن . مثل هذا المريض المتقدم فى السن يخاف منه
على الثورة ؟ ابد » (١) . ويبدو الامر وكان احد التهم

(١) محاكمات الثورة — المضبطة الرسمية جلسات محكمة الثورة
— اعداد كمال كيرة — الكتاب الثانى — وزارة الارشاد القومى —
ص ٣١٥ .

المنسوبة الى ابراهيم فرج هي انه كان على علاقة ما
بالنحاس .

ثم يمضى الدفاع ليصل الى تهمة اخرى وهي اتصال
ابراهيم فرج بالثيوعيين وبيوسف حلمى على وجه
التحديد (١) .

ويصدر الحكم على ابراهيم فرج بالاشغال الشاقة
المؤبدة ، ثم يخفف الى خمسة عشر عاما . .

ويشعر الجميع ان المحاكمة والحكم . . موجهان الى
شخص آخر حالت ظروف سنه المتقدم ، وحالته
الصحية ، وزعامته الشعبية الطاغية دون ان يوضع
فى نقص الاتهام . . شخص آخر هو مصطفى النحاس
الذى كان المعنى بهذه المحاكمة . .

ولم تكن محاكمة « ابراهيم فرج » كافية . وهكذا
قدم لنفس المحاكمة زميل آخر — لمصطفى النحاس هو
« محمود سليمان غنام » وفى هذه المرة يحاول رئيس
المحاكمة ، قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى ، ان
يعرض بمواقف حزب الوفد ويعيره بالتهاون مع
الملك . . لكن الدفاع وكان د . محمد صلاح الدين
ايضا يرد عليه ردا شجاعا وحاسما : « ان سيادة
الرئيس يعلم — وهو سيد العارفين — كيف كان
الجيش يستخدم فى وقت من الاوقات ضد الحركة

(١) المرجع السابق ص ٣١٩ .

الوطنية ، وقد كان الجيش في يد جماعة تعلموا على يد الانجليز ، وكانوا يوجهون الجيش ضد الحركة الوطنية ..

وفي كل مناسبة من المناسبات التي كانت تلى فيها الحكم الوزارة الوفدية كانت تصطدم بالملك السابق ، ولم تكن تخرج من الحكم الا مقالة . وفي كل مرة من المرات ، حتى بلغ عدد مرات اقالتها خمسا . ثم بعد ذلك في آخر مرة جاء فيها الحكم ارادت ان تجرب تجربة وهي سياسة المهادنة مع هذا الملك الطاغية ، وكانت تهدف من ذلك الى غرضين : الاول أنه ربما أمكنها التخفيف من طغيانه ، ولعلكم تذكرون ما كان يقال عن الوفد وعن أن النحاس رفع علما على بيته ، عاوز يعمل رأسه برأس الملك . وأن النحاس قاعد أمام الملك ومربع أيديه ، وأن النحاس عاوز الجمهورية ، كما سبق اتهم سعد زغلول بأنه يطمع في عرش مصر « (١) .

وتصدر المحكمة حكمها بالسجن مدى الحياة لمحمود سليمان غنام ..

وتمضى الأيام .. ويتصور البعض أن النحاس قد طواه النسيان ، وأن هذه الصفحة الناصعة من تاريخ مصر قد نسيت .. وفجأة يعود 'لنحاس ليثبت بموته أنه لم يزل حيا في قلوب الكثير من المصريين .

محاكمات الثورة - اعداد كمال كيرة - الكتاب السادس
(الجزء الثانى من محاكمة محمود سليمان غنام) . ص ١٠١٣٣ .

وعندما مات مصطفى النحاس في ٢٣ أغسطس
١٩٦٥ تحولت جنازته الى مظاهرة صاخبة ضمت قرابة
المائة ألف متظاهر ..

واثبت النحاس انه لم يزل حيا ..

وانه لن يموت ..

واثبت شعب مصر انه — وبرغم كل شيء — يمتلك
قدرا هائلا من الوفاء والعرقان بالجميل ..

* * *

وڻائڻ

سبعون وزارة تشكلت عبر مسار التاريخ المصرى الحديث ، منذ النظارة الاولى التى شكلها نوبار باشا فى ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ ، وحتى الوزارة رقم ٧٠ التى شكلها على ماهر باشا فى أعقاب ثورة يوليو ١٩٥٢ .

لم يحدث طوال هذا التاريخ أن أقيل رئيس وزراء الا مصطفى النحاس باشا . كانت كل الأزمات، أو التغييرات الوزارية ، تسوى بأن يقدم رئيس الوزراء استقالته ، أما النحاس الذى كان مقتنعا اقتناعا لا يتزعزع بأنه صاحب الأغلبية البرلمانية ، ومن ثم صاحب الحق الدستورى المطلق فى الحكم ، فقد رفض أية تسويات لأزماته مع الملك ، ورفض أن يقدم أية استقالة ، ومن ثم فقد كان السبيل الوحيد أمام القصر للاطاحة بحكومات الأغلبية هو اقالمتها .

وكان النحاس يجابه كل محاولة لاقتناعه بالاستقالة بقوله شهيرة « . لن تستطيع قوة على الأرض أن تنحني عن واجبى فى خدمة الأمة ، إلا هذه الأمة ذاتها ، فهى التى وكلتنى وهى التى ان شأئت عزلتنى » (١) .

ولقد شكل النحاس باشا سبع وزارات . . قدم استقالة واحدة ، بعد فشله فى المفاوضات ، وقدم استقالة شكلية مرتين بهدف إعادة تشكيل وزارته من جديد ، وأقيل أربع مرات ، كانت الاقالات الوحيدة فى تاريخ مصر الحديث .

(١) رابطة الشباب — ١٩٤٦/٤/١٥ .

ان هذه الاقالات — هي في واقع الامر — اعز ما نال
النحاس من تقدير ، وأرفع ما تقلد من أوسمة عبر كفاحه
الطويل ، فهي تعبير عن شجاعة نادرة في مجابهة طغيان
السرائى ورفض لاحناء الرأس امام جبروتها ، وهي أيضا
دليل قاطع على أن مصطفى النحاس كان رجلا مختلفا
عن كل رؤساء الوزراء الذين حكموا مصر ابتداء من نوبار
باشا وحتى على ماهر باشا . . كان متميزا عنهم ،
فاستحق الاقالات الأربع الوحيدة في تاريخ مصر . .

ومن هنا تبرز أهمية هذه الوثائق ، انها توضح الى
أى حد كان الملك ورجال القصر يحققون على النحاس
ويتحینون الفرص لطعنه والخلاص منه . . وهي توضح
أيضا مدى صعوبة المعركة التي خاضها النحاس في
محاولته لتأكيد الحقوق الدستورية لحزب الاغلبية
البرلمانية .



ولقد اکتفينا بإيراد خطابات التشکيل ثم خطابات
الاقالة ، غير أن هناك وثيقة هامة رأينا إيرادها هنا وهي
خطاب قبول النحاس لتشکيل الوزارة الخامسة في ٤
فبراير ١٩٤٢ فهي وثيقة نادرة ، انها تجسید لشخصية
النحاس وأسلوبه في مجابهة القصر وفي مجابهة الاحتلال .

ان خطاب النحاس الى الملك يتضمن ، ولأول وآخر
مرة في تاريخ مصر ، توجيهات وتحديدات وشروط ، وهو
يورد — ولأول مرة — دفاعا حارا عن الفقراء ، وهو
يهاجم خصومه السياسيين ويقدم أدلة اتهامه تفصيلا ،

ثم هو ، فوق ذلك كله أو قبل ذلك كله ، يصحح الأوضاع عقب حادث { فبراير فيصمم على أن يورد ضمن خطاب قبوله لتشكيل الوزارة — وهي سابقة تاريخية لا مثيل لها — نص رسالتين متبادلتين بينه وبين السفير البريطاني يصمم فيها النحاس على أن ينال من السفير اعترافا بعدم مشروعية أى تدخل بريطاني في شئون مصر المستقلة وبخاصة في تأليف الوزارات أو تأليفها .



وباختصار فإن تصحيح هذه الوثائق يمكنه أن يقدم للقارئ صورة مركزية لحقبة الصراعات التي خاضها مصطفى النحاس ، وطبيعة المعركة التي عاشها ، والصعوبات والتحديات والخصومات التي واجهها . . وبهذا فإنها تكتسب أهمية تاريخية فريدة .

الوزارة الأولى

١٦ مارس سنة ١٩٢٨ — ٢٥ يونيو ١٩٢٨

أمر ملكي رقم ١٤ لسنة ١٩٢٨

صادر الى حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

عزيزي مصطفى النحاس باشا

لما لنا من الثقة بكم ، ولما نعهد فيكم من الخبرة
والجدارة لتولى مهام الأمور ، قد اقتضت ارادتنا توجيه
مسند رئاسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرئاسة الجليلة
اليكم .

وأصدرنا أمرنا هذا لدولتكم للاخذ في تأليف الوزارة،
وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا العالي به .

والله المسئول أن يمدنا في كل الأمور بعونه وعنايته ،
وأن يوفقنا جميعا لما فيه الخير للبلاد .

صدر بسرأي عابدين في ٢٤ رمضان سنة ١٣٤٦

(١٦ مارس ١٩٢٨)

فؤاد

اقالة

امر ملكي رقم ٣٧ لسنة ١٩٢٨

باقالة حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

عزيزي مصطفى النحاس باشا

لما كان الائتلاف الذي قامت على أساسه الوزارة
قد أصيب بصدع شديد ، فقد رأينا اقالة دولتكم ، شاكرين
لكم ولحضرات الوزراء زملائكم ما أدبتم من عمل في خدمة
البلاد .

صدر بمرأى عابدين في ٧ محرم سنة ١٣٤٧

(٢٥ يونية سنة ١٩٢٨)

فؤاد

الوزارة الثانية

أول يناير ١٩٣٠ - ١٩ يونيو ١٩٣٠

أمر ملكي رقم ٢ لسنة ١٩٣٠

صادر الى حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

عزيزي مصطفى النحاس باشا

لما عهدناه فيكم من الاخلاص والولاء وحسن الروية،
قد اقتضت ارادتنا اسناد رئاسة مجلس وزرائنا اليكم .

وأصدرنا امرنا هذا لدولتكم للاخذ في تأليف هيئة
الوزارة ، وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا به .

ونرجو الله أن يجعل التوفيق رائدنا جميعا فيما يعود
على بلادنا بالخير والسعادة .

صدر بسرأي القبة في غرة شعبان سنة ١٣٤٨

(١ يناير ١٩٣٠)

فؤاد

استقالة

كتاب الاستقالة

المرفوع الى حضرة صاحب الجلالة الملك

من حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

مولاي

اتشرف بان ارفع الى سدتكم العلية استقالتي
وزملائي من الوزارة ، نظرا لعدم تمكننا من تنفيذ
برنامجنا الذي قطعنا على انفسنا العهد بتنفيذه . راجيا
ان تتفضلوا بقبولها .

واني على الدوام خادم سدتكم المخلص الوفي الامين .

القاهرة في ٢٠ محرم سنة ١٣٤٩

(١٧ يونية ١٩٣٠)

مصطفى النحاس

الوزارة الثالثة

٩ مايو ١٩٣٦ — ٣١ يوليو ١٩٣٧

أمر ملكي رقم ٢

صادر الى حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

دولة الرئيس العزيز مصطفى النحاس باشا

لما أنتم عليه من عظيم الاخلاص والولاء ، فوق
ما حزتم من ثقة كبرى ، ولما اتصفتم به من اصالة
الراى ومضاء العزيمة ، وما نعرفه فيكم من واسع
الخبرة وكمال الكفاية وسمو التدبير ، قد اقتضت ارادتنا
اسناد رئاسة مجلس الوزراء اليكم .

وأصدرنا امرنا هذا لدولتكم ، للاخذ في تأليف هيئة
الوزارة ، وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا به .
وفقنا الله جميعا ، وسدد خطانا الى ما فيه خير
الوطن .

صدر بسر اى عابدين فى ١٨ صفر سنة ١٣٥٥

(٩ مايو ١٩٣٦)

بمجلس الوصاية

محمد على عبد العزيز عزت شريف صبرى

(عقب تولية الملك فاروق العرش فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧
قدم مصطفى النحاس باشا استقالته للملك وفقا للقواعد
الدستورية فى ٣١ يوليو ١٩٣٧ ، وقد كلفه الملك فى اليوم
التالى مباشرة بتشكيل وزارته الرابعة) .

الوزارة الرابعة

اول أغسطس ١٩٣٧ — ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧

امر ملكى رقم ٣ لسنة ١٩٣٧

صادر الى حضرة صاحب المقام الرفيع

مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس باشا

انى وقد حملت الأمانة التى عهد الله بها معتمدا عليه سبحانه وتعالى لأجد فيكم وقد أحرزتم الثقة الكبرى بعظيم اخلاصكم وولائكم وصادق وطنيتكم وقدمتم تلك الخدمات المجيدة بحسن جهادكم وسداد رأيكم وثبات عزمكم — ذلكم الذى توليه مهام الدولة فنعهد اليه برياسة مجلس وزرائنا .

وانى لعلى يقين انكم بواسع خبرتكم وسمو تدبيركم ستواصلون جهودكم الموفقة بمعاونة من تختارونهم على تحقيق أمانى ورغائى فى اسعاد شعبى الذى اشربت حبه ووقفت حياى على رقيه ورفاهيته ، اذ لا هتاءة لى الا بهنائه .

وقد أصدرنا أمرا هذا لمقامكم الرفيع للاخذ فى تأليف هيئة الوزارة ، وعرض المشروع علينا لصدور مرسومنا به .

والله ولينا ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

صدر بسر اى عابدين فى ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٥٦

(اول أغسطس ١٩٣٧)

فاروق

اقسالة

امر ملكى رقم ٣٨ لسنة ١٩٣٧

باقالة حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس باشا

نظرا لما اجتمع لدينا من الأدلة على ان شعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم ، وانه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور ، وبعبدها عن احترام لحریات العامة و حمايتها ، وتعذر ايجاد سبيل لاستصلاح الأمور على يد الوزارة التى تتراسونها لم يكن بد من اقالتها تمهيدا لاقامة حكم صالح يقوم على تعرف رأى الأمة ، تستقر به السكينة والصفاء فى البلاد ، ويوجه سياستها خبر وجهة فى الظروف الدقيقة التى تجتازها ، ويحقق آمالنا العظيمة فى رقيها وعزتها .

وانى اشكر لمقامكم الرفيع ولحضرات زملائكم ما تم على ايديكم من الخير للبلاد .

واصدرنا امرنا هذا لمقامكم الرفيع بذلك .

صدر بسرأى القبة فى ٢٧ ثوال سنة ١٣٥٦

(٣٠ ديسمبر ١٩٣٧)

فاروق

الوزارة الخامسة

٤ فبراير ١٩٤٢ — ٢٦ مايو ١٩٤٤

أمر ملكي رقم ٦ لسنة ١٩٤٢

صادر الى حضرة صاحب المقام الرفيع

مصطفى النحاس باشا

عزيزي مصطفى النحاس باشا
يسرني وقد عرفت فيكم أصالة الرأي وسداد التدبير
وقوة الاخلاص أن اسند اليكم رئاسة مجلس وزارتنا .

ان مصر وطننا العزيز لأحوج ما تكون في هذه الآونة
الدقيقة الى تضامير الجهود وضم الصفوف ، وجمع
القوى وبذل التضحية ، وانكار الذات في سبيل حفظ
كيانها ، واعلاء شأنها ورفاهة شعبها ، وذلك ما أرجو
أن يكون بتوفيق الله وعظيم تأييده .

وقد أصدرنا أمرا هذا الى مقامكم الرفيع للاخذ في
تأليف هيئة لوزارة وعرض المشروع علينا لصدور
مرسومنا به .

والله المستول أن يوفقنا جميعا الى العمل على ما فيه
اسعاد الأمة والبلاد .

صدر بقصر عابدين في ١٨ محرم ١٣٦١

(٤ فبراير ١٩٤٢)

إجـواب

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

يا صاحب الجلالة

تفضلتم جلالتم فعهدتم الى مهمة تأليف الوزارة في هذه الظروف الخطيرة ، وأبيتم الا أن تزيدوني شرفا فوق شرف بأن أعريتم ، بلسانكم الكريم المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة ، عن ثقتكم في وطنية هذا الضعيف ، وانكاره لذاته ، مؤكدين ان هاتين الصفتين الكريمتين اللتين شاء فضلكم أن تسندوهما الى تقضيان على بأن أتقدم لانقاذ الموقف واتحمل مسئولية تطورات علم الله ان لم يكن لى يد فيها ، بل جلبها على البلاد غيرى بأعماله أو باهماله فأصبح من واجبي كمصري وكوطني — اذا اتسعت لذلك جهودي — ان أنقذ البلد من نتائجها وأجنبها وزرها ، بعد ان ظهرت بوادرها وتكررت نذرها .

قدرت المسئولية ووزنت عبء أثقالها ، فرجحت أمام عيني كفة ضعفى عن احتمالها فاعتذرت عن قبول الوزارة فتفضلتم فأصررتم ، فزادنى أصراركم على ثقة بى خشية من الثقة بنفسى ، لكنى ازاء أمركم الصادر الى باسم العرش ومصر قبلت وعلى الله توكلت .

وكان أول عهد أخذت به نفسى ان أحاول انقاذ البلاد من خطورة الموقف الأخير فأخطو خطوة عمليسة حاسمة فى هذا السبيل قبل المضى فى تأليف الوزارة ، بل كشرط أول اشتراطته على نفسى للسير فى تأليفها .

وقد رأيت أن خطورة الموقف لا يكفى في معالجتها كلمة اقولها . أو صيحة أرسلها أو دعوة أبدلها ، بل يجب لوضع الأمور في نصابها أن تؤتى البيوت من بوابها ، فيصدر تصريح من الجانبين يحفظ للوطن استقلاله وحقوقه ، وتقطع لنا الحليفة عهدا رسميا يمحو ما عكر أو ما من شأنه أن يعكر صفو الجو بين الحليفتين .

وتحقيقا لذلك اجتمعت بسعادة السير مايلز لامبسون السفير البريطاني في مصر ، وأوضحت له وجهة نظري التي بها وحدها تصان حقوق الوطن ، وتتوطد صلات المودة والتحالف بين مصر وبريطانيا ، فلقيت من سماعته رغبة صادقة وأكيدة في تنفيذ المعاهدة بين بلدينا على أساس الاحترام والود المتبادلين ، ومعاملة مصر معاملة الند للند ، من غير مساس باستقلالها ، وحقوق سيادتها ، أو تدخل في شئونها الداخلية ، وبخاصة تكوين أو تغيير وزارتها .

وفيماء يلي نص هذين الكتابين التاريخيين ، أثبتتهما بعد كريم أننكم :

« يا صاحب السعادة . .

لقد كلنت بمهمة تأليف الوزارة وقبلت هذا التكليف الذي صدر من جلالة الملك بما له من الحقوق الدستورية ، وليكن مفهوما أن الأساس الذي قبلت عليه هذه المهمة هو أنه لا المعاهدة البريطانية المصرية ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة بالتدخل في شئون مصر الداخلية ، وبخاصة في تأليف الوزارات أو تغييرها .

وانى أوهل يا صاحب السعادة أن تتفضلوا بتأييد
ما تضمن خطابى هذا من المعانى وبذلك تتوطد ضلالت
المودة والاحترام المتبادلين وفقا لنصوص المعاهدة .

وتفضلوا يا صاحب السعادة بقبول فائق احترامى .

٥ فبراير ١٩٤٢

مصطفى النحاس

الى حضرة صاحب السعادة السير مايلز لامبسون
السفير البريطانى فى مصر - القاهرة .

(ترجمة)

« يا صاحب المقام الرفيع . .

لى الشرف أن أؤيد وجهة النظر التى عبر عنها خطاب
رفعتكم المرسل منكم بتاريخ اليوم ، وأن أؤكد لرفعتكم أن
سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون
باخلاص مع حكومة مصر كدولة مستقلة وحليفة فى تنفيذ
المعاهدة البريطانية المصرية ، من غير أى تدخل منها فى
شئون مصر الداخلية ولا فى تأليف الحكومات أو تغييرها .

وانى لأنتهز هذه الفرصة لأؤكد لرفعتكم فائق احترامى

٥ فبراير ١٩٤٢

مايلز لامبسون

الى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس
باشا . .

رئيس مجلس الوزراء
القاهرة

(ترجمة)

يا صاحب الجلالة

بعد ان وفقتنى الله الى هذه النتيجة ، التى جلبت
للبلاد كسبا ، ولم تنحصر فى ان تدفع عنها ضرا ، فحققت
وعد الخلاق الكريم لخلقه من ان بعد العسر يسرا ، بعد
ذلك التوفيق لم يبق لى الا ان ارجو من الله توفيقا فيما
بقى من مهمتى ، وما تفضلتم فحملتموه فى ذمتى من تولى
شئون الحكم فى البلاد ، تحقيقا لحريتها ومصلحتها
ورفاهيتها بعد ان عانى الشعب كثيرا مما وجد ، وبعد
ان اهدر ما اهدر ، وفسد ما فسد .

وسيكون اول عمل الوزارة التى شرفتمونى برياستها
هو ان توطد الحياة النيابية الصحيحة وان تكفل احكام
الدستور صيانة للحريات ، وتيسيرا لعوامل الطمأنينة
والعدل والمساواة ، حتى يستظل بظلها الكبير والصغير ،
والغنى والفقر ، من غير ما ميل او محاباة او محسوبية ،
او مراعاة للوجوه الا وجه ربك ذى الجلال .

ذلك لان هذه الوزارة تؤمن بأن اتحاد الكلمة على
احترام الدستور والحياة النيابية الصحيحة هو وحده
الكفيل بتحقيق الحكم الديمقراطى فى مصر ، وهو وحده

الكفيل بتوحيد الصفوف وتضافر الجهود وحشد القوى في سبيل حفظ كيان البلاد واعلاء شأنها ورفاهة شعبها .

ومن ثم فسيكون في طليعة ما تعنى به الوزارة ، اثر صدور الأمر الكريم بتأليفها أن تعرض على جلالتك مشروع مرسوم بحل مجلس النواب الحاضر لكي يكون للامة ، ممثلة في ناخبها ، الكلمة الفاصلة في تقرير مصيرها وتدبير أمورها ، في هذه الظروف الخطيرة التي تجتازها البلاد وسيحدد للانتخابات لعامة اقرب أجل ممكن في حدود الدستور ، بحيث لا يتجاوز الشهرين المقررين في نصوصه .

وكذلك ستعنى الوزارة عناية خاصة بتموين البلاد ، فتعالج جهد الطاقة كل ما يمكن معالجته من أخطاء الماضي ، حتى ينعم الفقير قبل الغنى بخير أرضنا التي كانت وما تزال مباركة الثمرات ، وفيرة الخيرات . .

وستعالج الوزارة ، فيما تعالج ، جميع ما خلفته آثار الماضي من تركة مثقلة بجسيم الأعباء ، وباهظ النفقات ، وتعنى على وجه عام بتوطيد الاقتصاد الأهلى على أسس ثابتة الأركان والاتجاهات ، من غير أن تنقصها المرونة اللازمة لمواجهة مختلف التطورات والاحتمالات الاقتصادية .

وسترعى الوزارة في سياستها الخارجية أول ما ترعى تجنيب البلاد ويلات الحرب وشرورها .

وكذلك ستعمل الوزارة على توطيد الثقة والصداقة بين مصر المستقلة وحليفاتها بريطانيا العظمى ، وعلى أن

تنفذ المعاهدة البريطانية المصرية من الطرفين تنفيذا
صادقا لمصلحة البلدين ، وعلى تعزيز صلاتنا الودية
بالبلاد الأجنبية ، وبخاصة لبلاد العربية والشرقية التي
تربطنا بها الأواصر الوثيقة من قديم .

.

واتشرف بأن أعرض على جلالتكم أسماء حضرات
الوزراء الذين قبلوا معاونتى فى مهمتى محتفظا لنفسى
بوزارتى الداخلية والخارجية .

.

.

.

مصطفى النحاس

(وعلى اثر الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد
رفع النحاس الى الملك استقالة وزارته الخامسة فى
٢٩ مايو ١٩٤٢ حتى يتمكن من اعادة تشكيلها بعد ابعاد
مكرم عبيد وقد قبل الملك الاستقالة وكلفه على الفور
بتشكيل الوزارة السادسة) .

الوزارة السادسة

٢٦ مايو ١٩٤٢ — ٨ أكتوبر ١٩٤٤

امر ملكى رقم ١٧ لسنة ١٩٤٢

صادر الى حضرة صاحب المقام الرفيع

مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس

يسرنى وقد عرفت لكم سداد الراى وبعد الهمة
وصدق الولاء ، ان اسند اليكم رئاسة مجلس وزرائنا ،
راجيا لكم التوفيق فى ظل من التعاون والصفاء الذى اود
ان يكون شعار الجميع حتى تصل سفينة البلاد فى هذه
الآونة العصيبة الى شاطئ السلام .

وقد أصدرنا أمرا هذا الى مقامكم الرفيع ، للاخذ
فى تأليف هيئة الوزارة ، وعرض المشروع علينا لصدور
مرسومنا به .

والله المسئول ان يوجهنا الى ما فيه خير الوطن
العزیز .

صدر بقصر عابدين فى ١١ جمادى الاولى ١٣٦١

(٢٦ مايو ١٩٤٢)

فساروق

اقباله

امر ملكى رقم ٢٥ لسنة ١٩٤٤

باقالة وزارة حضرة صاحب المقام الرفيع

مصطفى النحاس باشا

عزيزى مصطفى النحاس باشا

لما كنت حريصا على ان تحكم بلادى وزارة
ديمقراطية ، تعمل للوطن ، وتطبق احكام الدستور نصا
وروحا وتسوى بين المصريين جميعا فى الحقوق
والواجبات ، وتقوم بتوفير الغذاء والكساء لطبقات
الشعب ، فقد رأينا ان نقيلكم من منصبكم .

وأصدرنا امرنا هذا لمقامكم الرفيع ، شاكرين لكم
ولحضرات الوزراء زملائكم ما أمكنكم أدائه من الخدمات
اثناء قيامكم بمهمتكم .

صدر بقصر عابدين فى ٢١ شوال ١٣٦٣

(٨ اكتوبر ١٩٤٤)

فاروق

الوزارة السابعة

١٢ يناير ١٩٥٠ — ٢٧ يناير ١٩٥٢

أمر ملكي رقم ٥ لسنة ١٩٥٠

صادر الى حضرة صاحب المقام الرفيع

مصطفى النحاس باشا

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

، ان توفير الرفاهية لشعبنا من أمن وسلام ، أعز رغباتنا ، وأعظم ما تتجه اليه أمانينا ، ورائدنا دائما ان تكون الحياة النيابية ونظم الحكم صورة صحيحة لأمانى البلاد ، وأن تكون عامل أسعاد ودعامة استقرار .

وبلادنا العزيزة اليوم في مسيس الحاجة الى همدوء وسكينة وعمل منتج يوفر كل أولئك الطمأنينة لأهل البلاد وضيوفها .

لذلك اقتضت ارادتنا تحميلكم امانة الحكم ، واسناد رئاسة مجلس الوزراء اليكم ، لتقوموا بتلك المسئوليات الجسام التي ستلقى على عاتقكم في تلك الحقبة الدقيقة من حياة البلاد ، والتي تقتضيكم العمل لصالح لشعب ، على نهج واضح من السياسة القومية الى تهدف الى تأليف القلوب وتوحيد الجهود ، للسير بالوطن العزيز نحو الغاية اتي نؤملها جميعا لرفعته واسعاده ، وتحقيق ما ينشده أهله من مطالب طبيعية عادلة .

وأنا على يقين من أن تلك الأمانى ستكون رائدكم
ورائد من تختارونهم للاضطلاع بأعباء الحكم .

وقد أصدرنا أمرنا هذا الى مقامكم الرفيع ، للاخذ في
تأليف هيئة الوزارة ، وعرض المشروع علينا ، لصدور
مرسومنا به .

نسأل الله جلّت قدرته ان يكلاً بلادنا برعايته ، ويوفقنا
جميعاً الى ما يعود على رعايانا بالخير والسعادة .

صدر بقصر القبة في ٢٣ ربيع الاول ١٣٦٩

(١٢ يناير ١٩٥٠)

فاروق

اقالة

أمر ملكي رقم ٨ لسنة ١٩٥٢

صادر الى حضرة صاحب المقام الرفيع

مصطفى النحاس باشا

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

ان اشد ما نحرص عليه ونعمل له ، هو ان تنعم بلادنا
العزيزة بحكم يحفظ سلامتها ويرعى الأمن بين ربوعها ،
تسود فيه كلمة القانون ، ويستتب معه النظام ، وتتوافر
في ظله طمأنينة الناس على ارواحهم وأموالهم .

ولقد أسفنا أشد الأسف لما أصيبت به العاصمة
أمس من اضطرابات نتجت عنها خسائر في الأرواح
والأموال ، وسارت الأمور سيرا يدل على أن جهد
الوزارة التي ترأسونها قد قصر عن حفظ الأمن والنظام .

لذلك رأينا اعفاءكم من منصبكم ، وأصدرنا أمرا هذا
لمقامكم الرفيع شساكرين لكم ولحضرات الوزراء زملائكم
ما قمتم به مدة اضطلاككم بأعباء منصبكم .

صدر بقصر عابدين في ٢٩ ربيع الثاني ١٣٧١

(٢٧ يناير ١٩٥٢)

فاروق

المراجع

كتب ومراجع عربية :

— أحمد حسين — ايماني — الطبعة الاولى
(١٩٣٦) .

— أحمد شفيق باشا — حوليات مصر السياسية .

— أحمد حمروث — قصة ثورة ٢٣ يوليو — مصر
والعسكريون — المؤسسة العربية للدراسات
والنشر — بيروت — ١٩٧٤ .

— د. اسحق موسى الحسيني — الاخوان المسلمون
كبرى الحركات الاسلامية الحديثة .

— المؤتمر الوفدي الكبير — مستقبل مصر كما رسمه
الزعيم لمصطفى النحاس واقطاب الوفد (نوفمبر
١٩٤٣) .

— جلال الدين الحمامي — معركة نزاهة الحكم
(فبراير ١٩٤٢ — يوليو ١٩٥٢) — دار الكاتب
العربي — (١٩٥٧) .

— حسن البنا — مذكرات الدعوة والداعية — دار
الكتاب العربي — القاهرة .

— حسن البنا — الرسائل .

— صلاح عيسى — حكايات من مصر — دار الوطن
العربي — بيروت .

- يوزباشى صلاح نصر ، يوزباشى كمال الدين الحناوى الشرق الأوسط فى مهب الريح (دراسات استراتيجية) مكتبة النهضة (١٩٤٩) .
- صلاح نصر — عملاء الخيانة وحديث الأفك — الوطن العربى — بيروت .
- طارق البشرى — الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ — الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٢) .
- لطفى عثمان — المحاكمة الكبرى فى الاغتيالات السياسية — دار النيل للطباعة (١٩٤٨) .
- د. عاصم الدسوقي — كبار ملاك الاراضى الزراعية وعددهم فى المجتمع المصرى من ١٩١٤ — ١٩٥٢ — رسالة دكتوراه (غير منشورة) .
- د. عبد الخالق لاشين — سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية — دار العودة — بيروت .
- عبد المنعم الغزالى — تاريخ الحركة النقابية المصرية دار الثقافة الجديدة (١٩٦٨) .
- عبد الحليم الياس نصير — عهد الاستقلال — مطبعة عبد الحليم حسن (١٩٣٦) .
- د. عبد العظيم رمضان — تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ الى ١٩٤٨ (جزءان) .
- مؤاد كرم — النظارات والوزارات المصرية — دار الكتب القومية .

- د. فؤاد المرسى خاطر — العلاقات المصرية
السوفيتية — رسالة دكتوراه (غير منشورة) .
- فوزى جرجس — دراسات في تاريخ مصر السياسى
منذ العصر المملوكى — مطبعة الدار المصرية .
- قلبنى فهمى باشا — آراء وذكريات فى السياسة
والاقتصاد والاجتماع — مطبعة المجلة الجديدة .
- محمد عودة — سبعة باشوات وصور أخرى —
الكتاب الذهبى .
- محمد علوية باشا — مبادئ فى السياسة المصرية
مطبعة دار الكتب .
- محمد زكى عبد القادر — اقدام على الطريق .
- محمد عبد الله العربى — المعاهدة من الوجهة
القانونية — مطبعة سكر بمصر .
- محمد على الطاهر — ظلام السجن — مذكرات
ومفكرات — مطبعة عيسى البابى الحلبي (١٩٥١) .
- محمد التابعى — من أسرار السياسة والساسة —
مصر ما قبل الثورة — مطابع دار القلم — القاهرة .
- محمد حسنين هيكل — مذكرات فى السياسة
المصرية .
- مصطفى أمين — الكتاب الممنوع — أسرار ثورة
١٩١٩ — الجزء الأول — دار المعارف .

وثائق وتقارير وأوراق قضائية

- تقرير اتهام النيابة العمومية في قضية الجناية رقم ٨٧٦ السيدة زينب لعام ١٩٣٩ .
- تقرير لجنة التحقيق الوزارية في الوقائع والتصرفات الماسة بنزاهة الحكم في عهد الوزارة النحاسية الأخيرة .
- التقرير السنوى عن مصر عام ١٩٣٦ مرفوع من السير مايلز لامبسون الى مستر ايدن المتحف البريطانى - لندن .
- خطب جمال عبد الناصر في اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى .
- سيد البكار (مخطوط عن تاريخ الطليعة الوفدية) .
- سعد زغلول (المذكرات الخطية) .
- عبد الرحمن فهمى (المذكرات الخطية) .
- قانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٧ بشأن انشاء مجلس الدفاع الأعلى .
- قانون حزب الوفد المصرى .
- ملف القضية رقم ١٠٤ كلى مصر لسنة ١٩٢٦ .
- مضابط مجلس النواب .

- مضابط مجلس الشيوخ .
- محفوظات رئاسة مجلس الوزراء .
- محاكمات الثورة — المضبطة الرسمية لحاضر
جلسات محكمة الثورة — أصدر مكتب شئون
محكمة الثورة .
- مرافعة أحمد حسين قضية اغتيال محمود فهمى
النقراشى باشا .
- مرافعات الرئيس أحمد حسين فى عهد حكومة الوفد
— من كفاح مصر الفتاة .
- مرافعة النيابة العامة فى قضية الجنابة رقم (١٩٤٣)
لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا — المتهم فيها أحمد
حسين (قضية حريق القاهرة) .
- وثائق مكتبة رئاسة الجمهورية المصرية — تقارير
(الحكومة — الجيش) .
- وثائق وزارة الخارجية البريطانية المودعة فى
Public Record Office — London

دوريات

- الأهرام
- البلاغ
- الجهاد
- آخر ساعة
- أخبار اليوم
- رابطة الشباب
- السياسة
- صوت الأمة
- الصرخة
- المصرى
- المصور
- كوكب الشرق
- مصر الفتاة
- الوفد المصرى

مراجع أجنبية

- Albert Hourani — Arabic Thought in the Liberal Age 1798 — 1939, Oxford (1970).
- The Clano Diaries — 1943 — Doubleday and Company — New York (1946).
- G. E. Vonggrunebaum — Modern Islam — The Search for Cultural Identity — Vintage Books — New York.
- G. Kirk — The Middle East in the War — 1939 — 1945 — London (1953).
- Jean-Pierre Thieck — La Journée du 21 Février 1946, Dans l'Histoire du Mouvement National Egyptien — Université de Paris, VII.
- The Killearn Diaries, 1934 — 1946, Edited by Trevor Evans — London — (1972).
- Richard P. Mitchell — The Society of the Muslim Brothers, Oxford (1960).
- Wavelle — Allenby in Egypt — London.

القهررس

صفحة

٣	— كيف ؟ !
١٣	— الفصل الأول : مصر
٢٩	— الفصل الثانى : الوفد
٤٧	— الفصل الثالث : الزعيم
٥٨	١ — ضد الاحتلال البريطانى
٧٤	٢ — الملك يبكى من النحاس
٨٧	٣ — ضد الفاشست والاتجار بالدين
١٠٥	٤ — ٤ فبراير ، بداية أم نهاية ؟
١٠٨	٥ — النحاس واليسار
١١٥	٦ — نحاس .. ما بعد الحرب العالمية الثانية
١٢١	٧ — النحاس وثورة يوليو
١٢٩	— وثائق
١٥٣	— المراجع

مطابع الاهرام التجارية

رقم الايداع ١٨٨٩ / ١٩٧٦

الترقيم الدولى ٨ ٠٧ ٧٠٦٥ ٩٧٧ ISBN



.. وفي التاريخ كما في
غيره من العلوم يصبح
الاكتفاء « بالتعميمات »
و « الانطباعات السطحية »
خطرا داهما على الحقيقة
ذاتها .

و « النظرة العامة »
سائدة تماما فيما
يتعلق بتقييم قادة العمل
السياسي المصري على
مدى التاريخ الحديث كله .
ومن هنا فان دار
القضايا قد شعرت بضرورة
أن تقدم للقارئ العربي
دراسة علمية ورؤية
عصرية لحياة هؤلاء الزعماء
ابتداء من احمد عرابي
وحتى جمال عبد الناصر .
وقد طلبت الدار الى
الدكتور رفعت السعيد
وهو احد المتخصصين
البارزين في هذا المجال
اعداد هذه السلسلة من
الدراسات .

الناشر

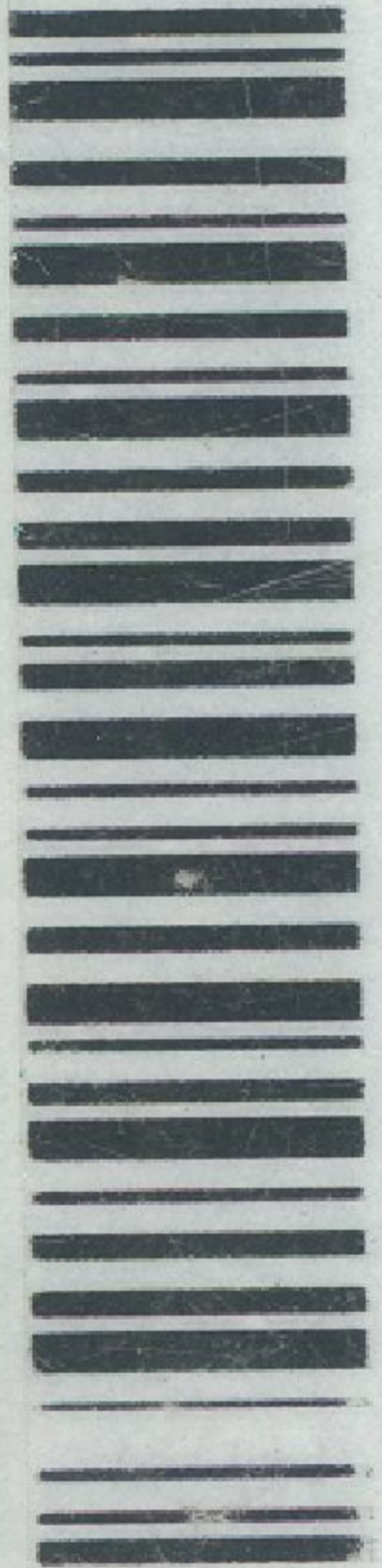


ثمان النسخة :

٥ ليرات لبنانية

توزيع

Bibliotheca Alexandrina



0436106

